دراسات في الفرق - ٣

الإمامة عند الجعفرية

والأدلة من القرآن العظيم

للدكتور
علي أحمد السالوس

مدرس الشريعة بجامعات العراق
والكويت والمعاهد العليا

مكتبة "ابن تيمية" الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

« إياك نعبد وإياك نستعين »

مقـــدمة

الحمد لله تعالى حمدا كثيرا ، والصلاة والسلام على رسله الأكرمين ، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سنته الى يوم الدين ·

وبعد : ففي بحث سابق تحـــدثت عن الامامة عند الجمهور والفرق المختلفة بصـفة عامة ، وبينت عقيـــدة الامامة عند الجعفرية بصفة خاصة كما جاءت في كتبهم · وقلت بأن الأدلة التي استند اليها الجعفرية الاثنا عشرية لاثبات عقيدتهم تحتاج الى بحث آخر ·

وفي هذا البحث أقدم عرضا ومناقشة للآيات القرآنية الـكريمة التي أولوها للاستدلال بها فيما ذهبوا اليه من قولهم في الامامة · أما السنة النبوية الشريفة فانا نرجئها لبحث تال ان شاء الله عز وجل ·

ونسأله سـبحانه وتعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ، انه نعم المولى ونعم النصير ·

المؤلف

على أحمد السالوس

تمهيــــد

الجعفرية معنيون كل العناية بالحديث عن الامامة ، ومحاولة اثبات صحة مذهبهم بالأدلة النقلية والعقلية ، ولهم في القديم والحديث مئـات المؤلفات ، بل عشرات المئـات فقلما نجد عالما من علمائهم لم يدل بدلوه في هذا المجال وفي مؤلفاتهم نرى الميل الى الاكثـار الزائد من النقـل والجدل ، مثال هذا أنهم يستدلون على صحة الامامة بأحد الاحاديث فجاء كاتب من كتابهم وألف كتابا في ستة عشر مجلدا ليثبت به صحة هذا الحديث وشهرته ، ومن قبله ألف أحدهم كتاب الألفين ـ أي من الأدلة ـ في امامة أمير المؤمنين ٠ وأمام هذا الفيض الزاخر رأيت لعرض أدلتهم ومناقشتها أن أسلك المنهج التالي : ـ

أولا ـ في هذا البحث أحـدد أهم أدلتهم التي تستند الى القرآن الكريم ، وأبين وجهة نظرهم ٠ وأناقشهم فيما ذهبوا اليه ٠ أما بقية الآيات الـكريمة التي ظهر أثر الامامة في قراءتها أو تفسيرها وتأويلها فالحديث عنها يأتي في بحث عن التفسير عندهم ان شاء الله تعالى ٠

ثانيا ـ بالنسبة للسنة النبوية الشريفة أجمـــع ما روى متصلا بالامامة ـ سواء أأيد رأيهم أم عارضه ـ في الموطـأ والصحيحين ٠ وكتب السنن الاربعة ، والمسند للامام أحمد ، ثم أتحدث عما جمعت سندا ومتنا ، وذلك في بحث تال كما ذكرنا ، أما كتب الحديث المعتمدة عند الجعفـرية فالحـديث عنها يأتي في بحث آخر عن السنة كما يرونها ٠

ومن المعلوم أن القرآن الكريم ليس فيه نص ظاهر يؤيد المذهب الجعفري فلجأ معتنقوه الى التأويل ، والاستدلال بروايات ذكرت في أسباب النزول لآيات كريمة وما أستدل به الجعفرية هو :

١ ـ قال تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (١) ٠

هذه الآية الكريمة يسمونها آية الولاية ، ويقولون انها تدل على أن امام المسلمين بعد النبي ﷺ بلا فصل هو على بن أبي طالب ، لان لفظة « إنما » تفيد الحصر و « وليكم » تفيد من هو أولى بتدبير الامور ووجوب طاعته ، والآية الكريمة نزلت في علي بلا خلاف ـ كما يقولون ـ عندما تصدق بخاتمه وهو راكع ٠

٢ ـ في آية المباهلة « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم » (٢) قالوا : ان الرسول ﷺ باهل بأهل الكساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ، فهم أحب الناس الى الله تعالى ، فهم أحق بالامامة والخلافة من الثلاثة الذين سبقوا الامام عليا ،« وأنفسنا » هنا تدل على أن عليا كنفس الرسول ﷺ ، ومن كان كذلك فمن الذي يتقدمه ؟

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٥٥
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ٦١

٣ ـ قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (١) ٠
قالوا : ان المـراد بأهل البيت هنـا علي وفاطمة والحسن والحسين ، وهذه الآية الـكريمة تدل على عصمتهم ، والامامة تدور مع العصمة ٠

٤ ـ قال سبحانه : « إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » (٢) ٠
قالوا : ان هذه الآية الـكريمة قد أبطلت امامة كل ظالم ، فصارت في الصفوة من ذرية ابراهيم الخليل ومن عبد غير الله ولو لحظة فهو ظالم ، وعلي هو الذي لم يعبد صنما قط ٠ أما غيره من الخلفاء فهم ظالمون لا يستحقون هذه الخلافة ٠

ومعنى هذا أن القرآن الكريم ـ على قولهم ـ قد أشار في أكثر من موضع أن عليا هو المستحق للامامة دون غيره ولذلك فهم يعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على عليّ وينصبه علما للناس من بعده ، وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس ، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصـهره ، ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم ، والى اليوم ليسـوا في مستوى واحـد من الايمان واليقين بنزاهة النبي وعصمته عن الهوى والغرض ولكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك، فأوحى اليه : (يأيها الرسول

(١) سورة الاحزاب ـ الآية ٣٣
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٢٤

بلغ ما أنزل إليـــك من ربك وإن لم تفعـــل فما بلغت رسالته) (١) فلم يجد بدا من الامتثال بعد هذا الانذار الشديد ، فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم ، فنادى وجلهم يسمعون :

« ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا : اللهم بلى فقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، الى آخر ما قال ، ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحا وتصريحا ، وأشارة ونصا حتى أدى الوظيفة » (٢) ٠

وقبل أن ينصرف الرسول ﷺ من غدير خم وقبل أن يتفرق الجمع نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » (٣) ٠

فقال رسول الله ﷺ الله أكبر على اكمال الدين ، واتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي ، والولاية لعلي من بعدي ، ثم طفق القوم يهنئون أمـــير المؤمنين وفي مقـــــدمتهم الشيخان (٤) ٠ فشاع ذلك وطار في البـــلاد ، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري ٠ فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقتـه فأناخها ، فقـال : يا محمد ، أمرتنا عن الله أن نشـهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلناه ، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٦٧
(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٤ ، وفيه « يأيها النبي » و « اللهم نعم »
(٣) الآية الثالثة من سورة المائدة
(٤) أنظر الغدير ١١/١

ابن عمك ففضلته علينا ، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله عـــز وجل ؟ فقـال : والذي لا اله الا هو ان هذا من الله ٠ فولى الحـرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السـماء أو أئتنا بعـذاب أليم ٠ فما وصل اليها حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله عـز وجل : (سأل سائل بعذاب واقع) (١) الآيات (٢) ٠

هـذه الآيات الـكريمة السبعة السـابقة هي أساس ما يستدلون به من القـرآن الكريم ، فلنعـرض رأيهم ، ونناقشه بالتفصيل ٠

★ ★ ★

(١) أول سورة المعارج

(٢) الغدير ١/٢٤٠

الفصل الأول
الولاية

ننظر في الآية الكريمة الأولى ، آية الولاية كما يسميها الجعفرية والتي يعتبرونها نصا صريحا في امامته ، فنجد أنهم يروون أنها نزلت على علي بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه - حين سأله سائل وهو راكع في صلاته ، فأومى بخنصره اليمنى اليه فأخذ السائل الخاتم من خنصره ٠

وقالوا في المعنى : ان الله تعالى بين من له الولاية على الخلق ، والقيام بأمورهم ، وتجب طاعته عليهم فقال : « إنما وليكم الله ورسوله » ، أي الذي يتولى مصالحكم ويدبر أموركم هو الله تعالى ورسوله ﷺ « والذين آمنوا » ثم وصف الذين آمنوا فقال : « الذين يقيمون الصلاة » بشرائطها « ويؤتون الزكاة وهم راكعون » أي يعطونها في حال الركوع ٠

ثم قالوا : هذه الآية من أوضح الدلائل على صحة امامة علي بعد النبي ﷺ بلا فصل ، والوجه فيه أنه اذا ثبت أن لفظة وليكم تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم ، وثبت أن المراد بالذين آمنوا على ثبت النص عليه بالامامة ووضح ٠ الذي يدل على الاول هو الرجوع الى اللغة ، فمن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك ، ولا يجوز حمل لفظة الولى على الموالاة في الدين والمحبة ، لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر ، ولفظة « إنما » تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور ٠ والذي يدل على أن المراد

بالذين آمنوا عليٌ الروايات الكثيرة . فهو وحده الذي تصدق في حال الركوع ، كما أن الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا أدى الى آن يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه (١) .

هـذا ما ذهب اليه الجعفـرية ، ولكن أهل التأويل ـ كما يقول الطبري (٢) ـ اختلفوا في المعنى بقوله تعالى : « والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ، فقال بعضهم : عنى به علي بن أبي طالب ، وقال بعضهم : عنى به جميع المؤمنين .

وذكـر الطبري الروايات التي تؤيد ما ذهب اليـه القائلون بأن المعنى به جميع المؤمنين ، وفي بعضها تعجب ممن سأل عن المراد بالذين آمنوا ، لانه يسأل عن شيء لا يسأل عن مثله . ثم ذكر روايتين : ـ

الأولى : عن اسماعيل بن اسرائيل قال : حدثنا أيوب بن سويد قال ، حـدثنا عتبة بن أبي حـكيم في هذه الآية « إنما وليكم الله ورسوله » قال : علي بن أبي طالب .

الثانية : هي : حدثني الحارث قال : حـدثنا عبد العزيز قال : حـدثنا غالب بن عبيد الله قال ، سـمعت مجاهدا يقول في قوله : « إنما وليكم الله » قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، تصدق وهو راكع .

والرواية الأولى في سندها أيوب بن سويد ، وعتبة بن

---

(١) راجع تأويلات الجعفرية للاية الكريمة ، والـروايات التي ذكروها لتأييد ما ذهبوا اليه في المراجع التالية :
التبيان ٥٥٨/٣ ـ ٥٦٤ ، ومجمـع البيـان ١٢٦/٦ ـ ١٣٠ ، والميزان ٢/٦ : ٢٤ ، وزبدة البيـان ص ١٠٧ ـ ١١٠ ، وكشف المراد ص ٢٨٩ ـ ومصباح الهداية ص ١٧٩ ـ ١٨١ ، وتفسير شبر ص ١٤١

(٢) أنظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٤٢٤/١٠ ـ ٤٢٥

أبي حكيم فأما أيوب فقد ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما . وقال البخاري في الكبير « يتكلمون فيه » (١) وأما عتبة فقد ضعفه ابن معين ، وكان أحمد يوهنه قليلا ، ولكن ذكره ابن حبان في الثقات (٢) .

فهذه الرواية اذن ضعيفة السند .

والرواية الثانية في سندها غالب بن عبيد الله وهو منكر الحديث متروك (٣) فروايته لا يؤخذ بها .

والحافظ ابن كثير عند تفسير الآية الكريمة قال (٤) :

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، أي ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة الى الله ورسوله والمؤمنين ، وقوله : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » أي : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من اقام الصلاة التي هي أكبر أركان الاسلام ، وهي له وحده لا شريك له ، وايتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين . وأما قوله : « وهم راكعون » فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله : « ويؤتون الزكاة » أي في حال ركوعهم ، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لانه ممدوح ، وليس الامر كذلك عند أحد العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى . وحتى أن بعضهم ذكر في هذا أثرا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه ، وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه .

---

(١) انظر المرجع السابق ج ٥ حاشية ص ٢٢٤
(٢) نفس المرجع ج ١٠ حاشية ص ٤٢٦
(٣) الموضع السابق من المرجع ذاته
(٤) انظر تفسيره : ٧١/٢

وذكر ابن كثير الروايات التي تشير الى هذا ، ثم بين أنها لا يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها . ثم قال : وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ حيث تبرأ من حلف اليهود ، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » كما قال تعالى : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ... ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

فكل من رضي بولاية الله ورسله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ، ومنصور في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة :

« ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » . بعد هذا كله نذكر بعض الملاحظات :

١ ـ بدراسة روايات الطبري ، ومما ذكره الحافظ ابن كثير ، نجد أن رواية التصدق في حالة الركوع لا تصح سندا ، يضاف الى هذا أن كتب السنة التي رجعت اليها لم أجد فيها ذكرا لمثل هذه الرواية (١) .

٢ ـ الروايات مرفوضة كذلك من ناحية المتن كما أشار ابن كثير وغيره ، فالفضيلة في الصلاة كونها خالية عما لا يتعلق بها من الحركات ، سواء أكانت كثيرة أم قليلة ، غاية الامر أن الكثيرة مفسدة للصلاة دون القليلة ، ولكن تؤثر قصورا في معنى اقامة الصلاة ألبتة (٢) .

---

(١) راجع أيضا ما ذكر عن الامام علي في مفتاح كنوز السنة ، فلا توجد اشارة لمثل هذه الرواية

(٢) أنظر تفسير الآلوسي ٣٣١/٢

٣ ـ قال ثعلب : الركوع الخضوع ، ركع يركع ، ركعا وركوعا : طأطأ رأسه ٠ وقال الراغب الاصبهاني : الركوع الانحناء ، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي وتارة في التواضع والتذلل : اما في العبادة ، واما في غيرها.وكانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكعا اذا لم يعبد الاوثان ، ويقولون : ركع الى الله ، قال الزمخشري : أي اطمأن ، قال النابغة الذبياني : ـ

سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء

الى ربه رب البرية راكع

وتقول : ركع فلان لكذا وكذا اذا خضع له ، ومنه قول الشاعر :

بيعت بكسر لئيم واستغاث بها

من الهزال أبوها بعد ما ركعا

يعني بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة ٠ ومنه كذلك :

لا تهين الفقير علك أن

تركع يوما والدهر قد رفعه

وقد استعمل بهذا المعنى في القرآن الكريم أيضا كما قيل في قوله سبحانه : « واركعى مع الراكعين » ، اذ ليس في صلاة من قبلنا من أهل الشرائع ركوع هو أحد الاركان بالاجماع ٠ وكذا في قوله تعالى : « وخر راكعا » الى غير هذا (١) ٠

---

(١) أنظر مادة ركع في لسان العرب ، وتاج العروس ، وأساس البلاغة وانظر كذلك تفسير الطبري ١/٥٧٤ ـ ٥٧٥ ، وتفسير الآلوسي ٢/٣٣٠

فقوله تعالى « وهم راكعون » يعنى به وهم خاضعون لربهم منقادون لامره ، متواضعون متذللون في أدائهم للصلاة وايتائهم للزكاة فهو بمعنى الركوع الذي هو في أصل اللغة بمعنى الخضوع .

وأرى تأييدا لهذا المعنى مجيء الآية الكريمة بالفعل المضارع ، فهو يدل على أن الآية الكريمة لا تشير الى حادثة حدثت وانتهت ، وانما تدل على الاستمرار والدوام ، أي أن صفات المؤمنين وطبيعتهم الصلاة والزكاة وهم راكعون ولا يستقيم المعنى ـ بغير تكلف ـ أن يكون من صفاتهم اخراج الزكاة أثناء الصلاة .

٤ ـ ذكر الشيعة ان التصدق أثناء الركوع لم يقتصر على أمير المؤمنين ولكن اقتدى به باقي أئمتهم جميعا !
وهنا يرد تساؤل : اذا كان هذا العمل من الفضائل التي امتدح بها أبو الأئمة وتبعه جميعهم فكيف لم يحرص على هذه الفضيلة سيد الخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه ؟
وكذلك سائر الامة ؟

٥ ـ قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : « وهم راكعون » ما يأتي :
« الواو فيه للحال : أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا . وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة ، وأنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مسرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته .

فان قلت : كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة ؟ قلت : جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ، ولينبه علي أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء ، حتى ان لزهم أمر لا يقبل التأخير في الصلاة لم يؤخروه الى الفرغ منها » (١) ٠

والزمخشري هنا ذكر أولا المعنى المفهوم من النص ثم ما قيل في سبب النزول دون تمحيص ، وقد ظهر أن سبب النزول هذا غير صحيح ، فلا ضرورة للتأويل الذي ذهب اليه ٠ ثم ما هذا الامر الذي لا يقبل التأخير وهم في الصلاة ؟ ألم يكن الافضل أن يصلي السائل مع المصلين ؟ أو أن ينتظرهم حتى تنتهي الصلاة وكيف يذهب لراكع يسأله الصدقة ويشغله عن الصلاة ؟ ولو وجد مثل هذا السائل فكيف نشجعه على ارتكاب خطأ جسيم كهذا ؟

٦ ـ سبق قول الامامية بأن الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا أدى الى أن يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه ، وهذا نوع من الجدل العقيم ، لان المراد ولاية بعض المؤمنين بعضا لا أن يكون كل واحد منهم ولي نفسه ٠ كما أن الخطاب موجه كذلك الى أولئك الذين تبرءوا من ولاية اليهود فأولياؤهم المؤمنون ، وهم أيضا أولياء لغيرهم من المؤمنين ، وفي مثل قوله تعالى : « ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » خطاب للمؤمنين جميعا ،

---

(١) الكشاف : ٦٢٤/١ ، ولزهم الى كذا : اضطرهم

أفمعنى هذا أنه نهي لكل مسلم أن يلمز نفسه ؟ !
قال الآلوسي : كيف يتوهم من قولك مثلا : أيها الناس لا تغتابوا الناس أنه نهى لكل واحد من الناس أن يغتاب نفسه ؟ ! (١) .

٧ ـ من المعلوم لدى جميع العلماء ـ شيعة وسنة ـ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فلو صح ما ذكر في سبب النزول لا نطبق على كل من يتصف بالايمان واقامة الصلاة وايتاء الزكاة في حال الركوع كما ذكروا ، أو الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء كما أوله الزمخشري .

٨ ـ كلمة الولي تأتي بمعنى المتولي للامور والمستحق للتصرف فيها ، وتأتي بمعنى الناصر والخليل ، والسياق يحدد المعنى المراد ، والقرآن الكريم عندما يأمر بموالاة المؤمنين ، أو ينهاهم عن موالاة غير المؤمنين من الكفار وأهل الكتاب ، تأتي الموالاة بمعنى النصرة والمحبة كقوله تعالى : « واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا » (٢) ، وقوله عز وجل : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » (٣) ، وقوله سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (٤) ولم يخرج عن هذا المعنى الا حالات خاصة كولاية الدم وولاية السفيه ، ولكن حالة من هذه الحالات لم تأت بمعنى الولاية العامة على

---

(١) راجع تفسيره ٢/٣٣٢
(٢) سورة النساء ـ الآية ٨٩
(٣) نفس السورة ـ الآية ١٣٩
(٤) سورة التوبة ـ الآية ٧١

المؤمنين (١) أفآية الولاية شذت عن هذا النسق القرآني ؟ وقبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٢) فهذا نهي عن موالاة من تجب معاداتهم • ثم بينت الآية الكريمة ـ آية الولاية ـ من تجب موالاتهم ، ثم جاء النهي مرة أخرى في قوله سبحانه وتعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » (٣) ولا شك أن الذي جاء قبل الآية الكريمة وبعدها ينهي عن الموالاة في الدين والمحبة ، فاذا جاء الامر بالموالاة بين نهيين فانه قطعا لا يخرج عن هذا المعنى الا بدليل آخر •

فكلمة « وليكم » ليست دليلا على أن الامامة العظمى لابي الحسن ـ كرم الله وجهه • وانما هي في حاجة الى دليل يظهر أنها خرجت على الاستعمال القرآني العام وعلى المفهوم الخاص لتلك الآيات الكريمة المتتابعة في سورة المائدة •

٩ ـ لا خلاف في أن لفظة « إنما » تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور ، ولكن الجعفرية بنوا على هذا عدم جواز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر •

---

(١) راجع الآيات القرآنية التي تبين ما ذكر مستعينا بما جاء في مادة « ولى » من المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم

(٢) ٥١ : سورة المائدة

(٣) السورة السابقة ـ الآية ٥٧

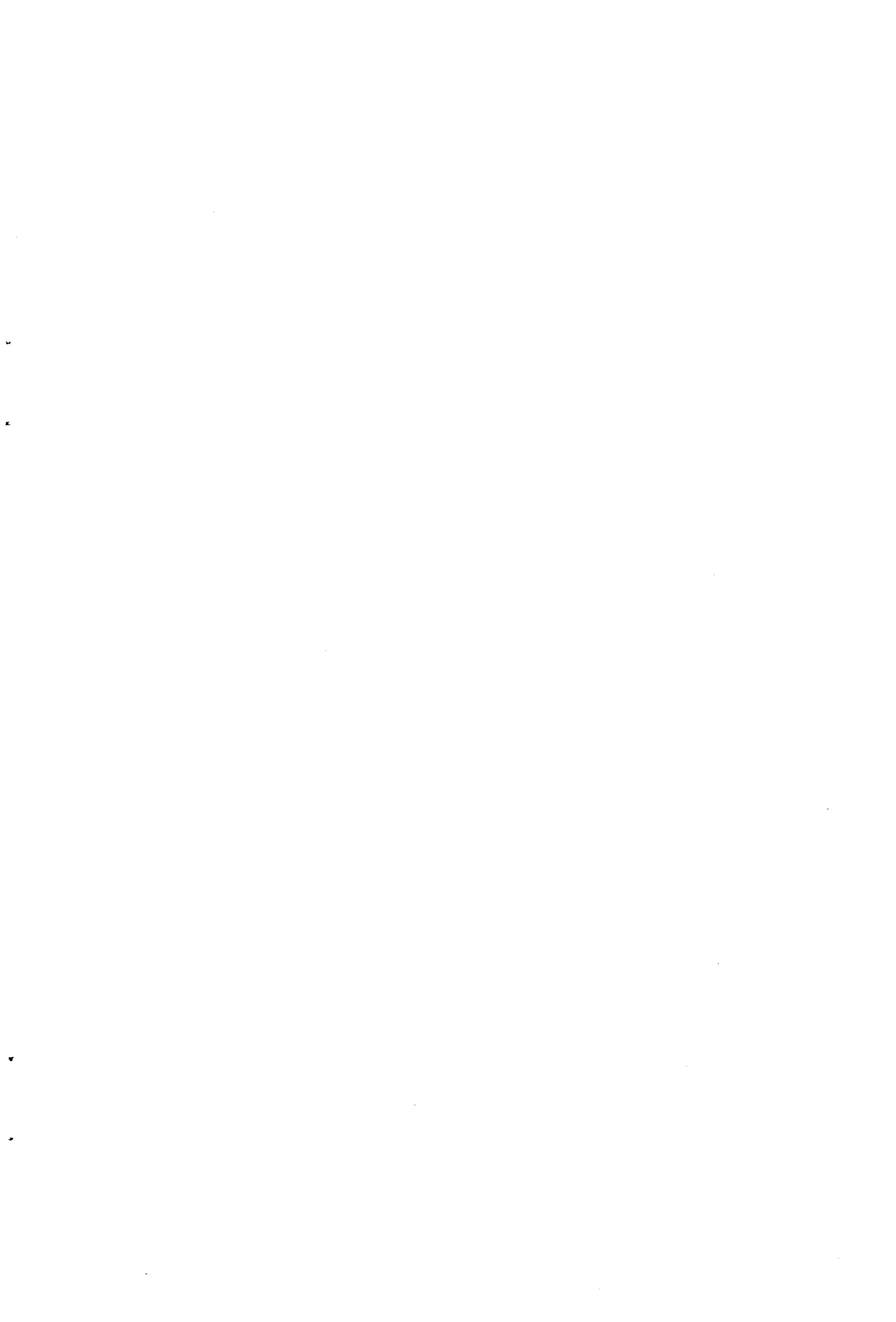
وهذا الاستدلال أيضا لا يستقيم ؛ فالموالاة مختصة بالمؤمنين جميعا دون غيرهم ممن تجب معاداتهم ، وليست لمؤمن دون مؤمن بل ان هـذا التخصيص يقتضي عكس ما ذهبوا اليه « لان الحصر يكون فيما يحتمل اعتقاد الشركة والتردد والنزاع ، ولم يكن بالاجماع وقت نزول هذه الآية تردد ونزاع في الامامة وولاية التصرف بل كان في النصرة والمحبة » (١) .

١٠ ـ أمر الله تعـالى للمؤمنين بموالاة أقوام ، ونهيه اياهم عن موالاة آخرين ، كل هذا صـدر في حياة الرسـول ﷺ ونفذ في حيـاته ، فكيف يكون امام المسلمين الاعظم عليا مع وجود الرسول ﷺ ؟ ولو اختص علي بالامامة لوجود لفظة « إنما » فان هذا التخصيص يخرج ابنيه الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم جميعا ـ لانهما يكونان فيمن نفى الحكم عنهم كما سبق ، ثم أني للامامة أن تصل الى باقي الائمة الاثنى عشر ؟

هـذه بعض الملاحظات وأعتقـد بعد هذا ان الآية الخامسة والخمسين من سورة المائدة لا تدل بحال على أن امام المسلمين بعد الرسول ﷺ يجب أن يكون علي بن أبي طالب . على أن هذه الآية الكريمة تعد أهم دليل قرآني يستندون اليه فلننظر بعد هذا في باقي الأدلة .

---

(١) تفسير الآلوسي ٢/٣٣٠



الفصـــل الثاني
المبــاهلة

في آية المباهلة قالوا : اتفق المفسرون كافة أن الابناء اشارة الى الحسن والحسين ، والنساء اشارة الى فاطمة ، والانفس اشارة الى علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ ولا يمكن أن يقال : ان نفسهما واحدة ، فلم يبق المراد من ذلك الا المساوى ، ولا شك في أن رســول الله ﷺ أفضــل الناس فمساويه كذلك أيضا (١) ٠

ونلاحظ هنا :

١ ـ لو سلمنا بكل ما سبق فان الآية الكريمة لا تنص على امامة أحـد ، لان ولاية أمر المسلمين تحتــاج الى قدرات خاصة تتوفر في صاحبها ، حتى يستطيع أن يقود الامة بســلام ، ويرعى مصــالحها على الوجه الاكمل ، والآية الكريمة لا تشير الى شيء من هذا ولا تتعرض للخـلافة على الاطـلاق ، وانما تذكر الابناء والنساء والانفس في مجال التضحية لاثبات صحة الدعوى ، وهؤلاء المذكورون من أقرب الناس الى الرســول ﷺ وبهذا يتحقق للمعاندين صـحة دعواه لتقديمه للمباهلة أقرب الناس اليه ٠ وفرق شاسع بين مجال التضحية ومجــال الامامة ، ففي التضحية يمكن أن يقـدم النساء والصـغار ولكنهم لا يقدمون للخلافة ٠

٢ ـ القول بأن الامام عليا يساوي الرسول ﷺ غلو لا يقبله

---

(١) كشف المراد ص ٣٠٤ ، وانظر مصباح الهداية ص ٩٩ ـ ١٠٣

الامام نفسه ـ كرم الله وجهه ، ويجب ألا يذهب اليه أي مسلم ، فمكانة الرسول المصطفى غير مكانة من اهتدى بهديه واقتبس من نوره ٠

٣ ـ لو قلنا : ان الآية الكريمة تدل على أفضلية الامام علي ـ رضى الله عنه فان أمامة المفضول مع وجود الافضل جائزة حتى عند بعض فرق الشيعة أنفسهم كالزيدية ، وهذا لا يمنعه الشرع ولا العقل ، لان المفضول بصفة عامة قد يكون أفضل بصفة خاصة فيما يتعلق بأمور الخلافة ومصلحة المسلمين ، وكان الرسول الكريم يولى الانفع على من هو أفضل منه (١) ٠

٤ ـ عقب ابن تيمية على قولهم بأن الله تعالى جعل عليا نفس رسول الله ﷺ بقوله : هذا خطأ ، وانما هذا مثل قوله : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا » (٢) وقوله تعالى : « فاقتلوا أنفسكم » (٣) «ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (٤) فالمراد بالأنفس الاخوان نسبا

(١) قال ابن قيم الجوزية تحت عنوان : « تولية الرسول ﷺ الانفع على من هو أفضل منه » : وبهذا مضت سنة رسول الله ﷺ ، فانه كان يولى الانفع للمسلمين على من هو أفضل منه كما ولى خالد بن الوليد من حين أسلم على حروبه لنكايته في العدو وقدمه على بعض السابقين من المهاجرين والانصار ٠ وكان أبو ذر من أسبق السابقين وقال له : (يا أبا ذر اني أراك ضعيفا ، وأحب لك ما أحب لنفسي ، لا تؤمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم) ٠ وأمر عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ، لانه كان يقصد أخواله بني عذرة فعلم أنهم يطيعونه ما لا يطيعون غيره للقرابة ٠٠٠ الخ ـ انظر أعلام الموقعين ١/١١٤ ـ ١١٥

(٢) سورة النور ـ الآية ١٢

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٥٤

(٤) نفس السورة ـ الآية ٨٤

أو دينا (١) ٠

٥ ـ قال الزمخشري : « فان قلت : ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه ٠ وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضم الابناء والنساء ؟ قلت : ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة.وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه ، وحارب حتى يقتل ٠ ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق ٠ وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ٠ وليؤذن بأنهم مقدمون على الانفس مفدون بها ٠ وفيه دليل

---

(١) المنتقى ص ١٧ ـ حاول أحد الجعفرية نقض كلام ابن تيمية فقال : « فلولا اذ سمعتموه ظن كل مؤمن بنفسه خيرا ، وظننت كل مؤمنة بنفسها خيرا ، لا أن كل مؤمن ظن بأخيه خيرا » (منهاج الشريعة ٢٨٧/٢) ويكفي هنا أن نذكر ما قاله الطوسي شيخ الطائفة في تفسيره :

« هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين ظن المؤمنون بالمؤمنين الذين هم كانفسهم ـ خيرا ، لان المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجرى عليها من الامور ٠ فاذا جرى على أحدهم محنة ، فكأنه جرى على جماعتهم وهو كقوله : (فسلموا على أنفسكم) وهو قول مجاهد ٠٠ ألخ » (أنظر التبيان ٤١٦/٧)

لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السـلام (١) ٠

وبعد فمهما اختلفت الاقوال فالآية الكريمة تدل على مكانة أولئك الذين قدموا للمباهلة ، ولكن هذا لا صلة له بالخـلافة كما بينا ٠

(١) تفسير الكشاف ٤٣٤/١ ـ وقال احد مفسري الجعفرية : « المباهلة والملاعنة وان كانت بحسب الظاهر كالمحاجة بين رسول الله ﷺ وبين رجال النصارى ، لكن عممت الدعوة للأبناء والنساء ليكون أدل على اطمئنان الداعي بصدق دعواه ، وكونه على الحق ، لما أودعه الله سـبحانه في قلب الانسـان من محبتهم والشفقة عليهم ، فتراه يقيهم بنفسه ، ويركب الأهوال والمخاطرات دونهم ، وفي سبيل حمايتهم والغيرة عليهم والذب عنهم ٠ ولذلك بعينه قدم الابناء على النساء لان محبة الانسان بالنسبة اليهم أشد وأدوم (الميزان ٢٤٤/٣) ٠

الفصـــل الثالث

التطهـــير

قال تعـــالى : « يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيـــاة الدنيـــا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا • وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » (١) •

فخير الرسول ﷺ زوجـــاته ، فاخترن جميعـــا الله ورسوله والدار الآخـــرة ، واستحققن بعد هـــذا الاختيار مخاطبة الله تعالى لهن بقوله : « يا نســـاء النبي من يأت منكن •• » الى قوله تعالى « •• لطيفا خبيرا » (٢) •

فهذه الآيات الخمس في نساء النبي كما يبدو ، ولكن جدلا كثيرا دار حول عجز الآية الثالثة والثلاثين « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » •

وهذا الجـــزء يطلق عليه اســـم آية التطهير ، ويرى الشيعة أنه لا صلة له بما قبله ولا بما بعـــده ، وانما هو خاص بالنبي ﷺ والسيدة فاطمة الزهـــراء والامام علي وابنيهما الحسن والحسين ـ رضى الله تعالى عنهم جميعا ، وأنه يدل على عصمتهم ، ومن ثم يستدلون به على مذهبهم في الامامة •

---

(١) سورة الاحزاب ـ الآيتان ٢٨ ، ٢٩

(٢) الآيات الخمس التالية من نفس السورة وهي : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما • يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن أتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا • وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا • واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا »

فاستدلالهم ينبني على ثلاث نقاط هي : تحديد المراد بأهل البيت في الآية الكريمة ، ثم دلالة الآية على عصمتهم وأخيرا التلازم بين العصمة والامامة ٠

وقد ذهبوا الى أن المـراد بأهـــل البيت هم هؤلاء الخمسة فقط مستدلين بشيئين : (١) ٠

الاول : الخطاب في قوله تعالى « عنكم » و « يطهركم » بالجمع المذكر يدل ـ كما يقولون ـ على أن الآية الشريفة في حق غير زوجات رســـول الله ﷺ ، والا فسياق الآيات يقتضي التعبير بخطـاب الجمـــع المؤنث أي « عنكن » و « يطهركن » ، فالعــدول عنهما الى الخطاب بالجمع المذكر يشهد بأن المراد من أهل البيت غير الزوجات ٠

الثاني : أخبار تدل على أنها في الخمسة الاطهــار ٠

وبالرجوع الى كتاب الله تعـــالى نجـد قوله:« قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » (٢) وهــذا خطاب لامرأة ابراهيم عليه السـلام ٠
وقوله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جـــذوة من النار لعلكم تصطلون (٣) ٠ ومعلوم أن موسى سار بزوجتـــه ابنـة شعيب ٠

وقوله سبحانه : « وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت

---

(١) انظر أدلتهم في : التبيان ٣٣٩/٨ ـ ٣٤٠ ، ومجمع البيان ط مكتبة الحياة ١٣٧/٢٢ ـ ١٣٩ وجوامع الجـــامع ص ٣٧٢ ، والميزان ٣٣٠/١٦ ـ ٣٣١ ومصباح الهداية ص ١٠٣ ـ ١٠٩
(٢) سورة هود ـ الآية ٧٣
(٣) سورة القصص ـ الآية ٢٩

هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون • فرددناه إلى أمه » (١) وقوله عز وجل : « إنا منجوك وأهلك إلا امـرأتك كانت من الغابرين » (٢) وقوله تعـالى : « واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين » (٣) •

الى غير ذلك من الآيـات الكـريمة التي تبين أن الاستعمال القرآني لا يمنع أن يكون المراد بأهل البيت في الآية الكريمة نساء النبي مع الخطاب بالجمـع المذكر ، بل ان المذكر هو الذي يتمشى مع هذا الاستعمال ، فلم أجد التعبير بالمؤنث مع كلمة الاهل ـ سواء أأريد بها الزوجات أم غيرهن ـ في القرآن الكريم (٤) •

واحتج طائفة من العلماء على أن الآل هم الأزواج والذرية بما جاء عن الرسول ﷺ عندما سئل : كيف نصلي عليك ؟ فقـال : « قولوا : اللهم صل على محمـد وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على آل ابراهيـم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » • وهذا الحديث متفق عليه • وكذلك بما روى عنه ﷺ أنه قال : « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ، كما صليت على آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » (٥) •

---

(١) السورة السابقة ـ الآيتان ـ ١٢ ، ١٣
(٢) سورة العنكبوت ـ الآية ٣٣
(٣) سورة يوسف ـ الآية ٢٣
(٤) انظر مادة « أهل » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وارجع الى الآيات التي اشتملت على هذه الكلمة •
(٥) نيل الاوطار ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٦

وروى الامام البخاري بسنده عن أنس - رضى الله عنه - قال : « بنى على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعيا ... فخرج النبي ﷺ فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ؟ بارك الله لك ، فتقرى حجر نسائه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة » (١) .

كما أن المعنى اللغوي للأهل لا يخرج الزوجات (٢)

فالاستعمال القرآني والنبوي واللغوي لا يخرج الزوجات من آية التطهير ، والسياق ان لم يحتم دخولهن فعلى أقل تقدير يعتبر مرجحا هذا بالنسبة لامهات المؤمنين ولكن سواء أشملتهن الآية أم لم تشملهن ، فان تخصيص المراد بالخمسة لا يكون الا اذا بين الرسول ﷺ ذلك . فلننظر اذن في الروايات .

قال الطبري : حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا بكر بن يحيى بن زيان العنزي ، قال ثنا مندل عن الاعمش عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي علي رضى الله عنه وحسن رضى الله عنه وحسين رضى الله عنه ، وفاطمة رضى الله عنها » (٣) .

وذكر الطبري بعد ذلك كثيرا من الروايات التي تبين أن الآية الكريمة تعنى هؤلاء المذكورين أو بعضهم . ثم

---

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب « لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ... »

(٢) أنظر المادة في معاجم اللغة

(٣) تفسير الطبري ط الحلبي ٦/٢٢

ذكر أخيرا ما روى عن عكرمة من أنها نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة (١) ·

والروايتان الأولى والأخيرة فيهما نظر ، فأما الأولى ففى سندها عطية عن أبي سعيد الخدري ، وعطية هـذا كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول : قال أبو سعيد ليوهم أنه الخدري · وقد ضعفه أحمد والنسائي وغيرهما (٢) ·

أما الرواية الاخيرة فذكرت أيضا عن عكرمة عن ابن عباس ، وقال عكرمة : من شاء باهلته أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ (٣) · فان كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فهذا يتفق مع ما ذهب اليه كثير من المفسرين ورواية عطية المذكورة ظهـر ضعفها فلا أثر لمعارضتها ، وان أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن فهذا معارض بكثير من الروايات ، ولذلك فالرواية لا تقبل الا على الوجه الأول ·

وروايات الطبـري الاخـرى منها رواية عن السيدة عائشة قالت : خرج النبي ﷺ ذات غداة ، وعليـه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، ثم قال : « إنمـا يريد الله ليذهب عنـكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وهذه الرواية تقتصر على الحسن ، ولكنها بلا شك لا تمنع كون غيره من أهل البيت ، وقد روى الامام مسلم عنها رواية مماثلة وفيها دخـول باقي الخمسة الاطهار ·

---

(١) أنظر نفس المرجع ٦/٢٢ - ٨

(٢) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال ، وسيأتي الحديث عنه مفصلا في روايات الغدير في بحث قادم ان شاء الله تعالى ·

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ٤٨٣/٣

وروى الطبري عن أنس ان النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة ، فيقول : الصلاة أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ... »

وهذه الرواية كذلك لا تمنع شمول الآية لغير من ذكر.
وروى عدة روايات عن أم سلمة .

قالت : كان النبي ﷺ عندي ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة (١) ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي « أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء ، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله ، فضمه فوق رءوسهم ، وأومأ بيده اليمنى الى ربه ، فقال : هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة في الآية ، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم .

وذكر الطبري روايتين عن واثلة بن الاسقع تتفقان مع الروايات الثلاث السابقة ، وتدخلانه هو مع أهل البيت ففي أحداهما : ـ

عن أبي عمار قال : اني لجالس عند واثلة بن الاسقع اذ ذكروا عليا رضى الله عنه ، فشتموه ، فلما قاموا ، قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا ، اني عند رسول الله ﷺ اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين ، فألقى عليهم

---

(١) الخزيرة : لحم يقطع قطعا صغارا ثم يطبخ بماء كثير وملح ، فاذا اكتمل نضجه ذر عليه الدقيق وعصد به ، ثم أدم بأي ادام . وتطلق الكلمة أيضا على الحساء من الدسم والدقيق .

كساء له ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قلت : يا رسول الله وأنا ؟ قال وأنت . قال : فوالله انها لاوثق عمل عندي . وفي الأخرى : اللهم هؤلاء أهلي ، اللهم أهلي أحق . قال واثلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي . قال واثلة : انها لمن أرجى ما أرتجى .

ولكن باقي روايات الطبري عن أم سلمة فيها زيادات تشير الى عدم دخولها مع أهل الكساء .. وهذه الروايات هي :

١ ـ حدثني أبو كريب قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية عن أبي سعيد الخدري ، عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم كساء (١) خيبريا ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت أم سلمة : ألست منهم ؟ قال : أنت الى خير .

٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية . قال : ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ان هذه الآية نزلت في بيتها (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت : وأنا جالسة على

---

(١) أي جعل الكساء يغطيهم .

باب البيت ، فقلت : أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : انك الى خير ، أنت من أزواج النبي ﷺ قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم .

٣ - حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنى هاشم بن هاشم ابن عقبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : أخبرتني أم سلمة « ان رسول الله ﷺ جمع عليا والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر الى الله ثم قال : هؤلاء أهل بيتي . فقالت أم سلمة : يا رسول الله أدخلني معهم . قال : انك من أهلي »

٤ - حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا محمد بن سليمان الاصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكي ، عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فدعا حسنا وحسينا وفاطمة ، وأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه . فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت أم سلمة أنا معهم مكانك ، وأنت على خير » .

٥ - حدثنا ابن حميد ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الاعمش عن حكيم بن سعد قال : « ذكرنا علي ابن أبي طالب رضى الله عنه عند أم سلمة ، قالت

فيه نزلت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالت أم سلمة : جاء النبي ﷺ الى بيتي ، فقال : لا تأذني لاحد ، فجاءت فاطمة ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط ، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ٠ ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ٠ فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ، قالت : فقلت : يا رسلول الله ، وأنا ، قالت : فوالله ما أنعم وقال : انك الى خير » ٠

وبالنظر في هذه الروايات نجد ما يأتي : -

أولا : في الروايتين الاولى والثانية ينتهي الاسناد الى عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة ، وقد بينا ضعف عطية وروواياته عن أبي سعيد ٠

ثانيا : في اسناد الرواية الثالثة « خالد بن مخلد » وهو متكلم فيه : وثقة عثمان بن أبي شيبة وابن حبان والعجلي ، وقال ابن معين وابن عدى لا بأس به ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وقال الآجرى عن أبي داود : صدوق ولكنه يتشيع ، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : له أحاديث مناكير ، وقال ابن سعيد : كان متشيعا منكر الحديث في التشيع مفرطا ، وكتبوا عنه للضرورة ٠ وقال صالح بن محمد جزرة : ثقة في الحديث الا أنه كان متهما بالغلو ٠ وقال الجوزجاني : كان شتاما معلنا لسوء مذهبه وقا ل الاعين : قلت له : عندك أحاديث في مناقب الصحابة ؟

قال : قل في المثالب أو المثاقب يعني بالمثلثة لا بالنون ٠
وحكى أبو الوليد الباجي في رجال البخاري عن أبي حاتم أنه قال : لخالد بن مخلد أحاديث مناكير ويكتب حديثه ٠
وقال الازدي : في حديثه بعض المناكير وهو عندنا في عداد أهل الصدق ٠ وذكره الساجي والعقيلي في الضعفاء (١) ٠

من هنا نرى أن ما يرويه خالد بن مخلد متصلا بمذهبه الشيعي لا يحتج به (٢) ٠

وفي اسناد هذه الرواية كذلك يروى خالد عن موسى ابن يعقوب ، وهو متكلم فيه أيضا : وثقة ابن معين وابن حبان وابن القطان وقال الآجرى عن أبي داود : هو صالح ، وقال ابن عدى : لا بأس به عندي ولا برواياته ٠
وقال علي بن المديني : ضعيف الحديث ، منكر الحديث ٠

وقال النسائي : ليس بالقوى ـ وقال أحمد : لا يعجبني ٠

ثالثا : في اسناد الرواية الرابعة عبد الرحمن بن صالح ، وهو من شيعة الكوفة ومتكلم فيه : وثقة أبو حاتم وابن حبان وغيرهما ٠ وقال موسى بن هارون : كان ثقة وكان يحدث بمثالب أزواج رسول الله ﷺ وقال الآجرى عن أبي داود : لم أر أن أكتب عنه ، وضع كتاب مثالب في

---

(١) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٠

(٢) قد يقال : كيف لا يحتج به وهو من شيوخ البخاري ؟ فنقول : من الثابت أن له مناكير كما قال الامام أحمد بن حنبل ، والامام البخاري يعرف متى يكتب ومتى يترك ، ولذا جاء في كتاب توجيه النظر (ص ١٠٣) في الحديث عن خالد بن مخلد : « أما المناكير فقد تتبعها أبو احمد بن عدى من حديثه وأوردها في كامله ، وليس فيها شيء مما أخرجه له البخاري ٠ بل لم أر له عنده من أفراده سوى حديث واحد وهو حديث أبي هريرة : من عادى لي وليا ـ الحديث » ٠
وما ذكره الجزائري هنا هو قول ابن حجر (أنظر هدى الساري ص ٤٠٠)

أصحاب رسول الله ﷺ وقال : وذكره مرة أخرى فقال : كان رجل سوء . وقال ابن عدى : معـــروف مشـــهور في الكوفيين لم يذكر بالضعف في الحـديث ولا اتهم فيه الا أنه محترق فيما كان فيه من التشيع » (١) .

وفي الاسناد أيضا محمد بن سليمان الاصبهاني : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : لا بأس به . يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال أبن عدى : مضطرب الحديث ، قليل الحديث ، ومقدار ما له قد أخطأ في غير شيء منه . وضعفه النسائي .

رابعا : في سند الرواية الأخيرة عبد الله بن عبد القدوس وهو شيعي متكلم فيــه : حكى عن محمــد بن عيسى أنه قال : هو ثقة . وقال البخاري هو في الاصل صدوق الا أنه يروى عن أقوام ضعاف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : ربما أغرب . وقال عبد الله بن أحمد : سألت ابن معين عنه قال : ليس بشيء ، رافضى خبيث . وقال محمد بن مهران الحمال : لم يكن بشيء ، كان يســخر منه يشبه المجنون يصيح الصبيان في أثره . وقال أبو داود : ضعيف الحديث كان يرمي بالرفض ، قال وبلغني عن يحيى أنه قال : ليس بشيء . وقال أبو أحمد الحاكم : في حديثه بعض المناكير وضعفه النسائي والدار قطني (٢) .

بعد النظر في أسانيد هذه الروايات يمكن القول بأنها ليست حجة يرد بها دلالة السياق ، والظاهر من الآيات الكريمة ، فكيف اذن يحتج بمثل هــذه الروايات لاثبات أصل من أصول العقيدة ؟ (٣) .

---

(١) أنظر الترجمة في تهذيب التهذيب .
(٢) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب .
(٣) الشـيعة يستندون في استدلالهم على ما روى عن أم سلمة ـ أنظـر مراجعهم السابق ذكرها .

وذكر الترمذي رواية عن أم سلمة وفيها : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : انت على مكانك وأنت الى خير . ثم عقب على الحديث بقوله : انه غريب (١) .

وفي أبواب العلل يتحدث عن الغريب فيقول :
أهل الحديث يستغربون الحديث لمعان : رب حديث يكون غريبا لا يروى الا من وجه واحد .. ورب حديث انما يستغرب لزيادة تكون في الحديث ، وانما تصح اذا كانت الزيادة ممن يعتمد على حفظه .. ، ورب حديث يروى من أوجه كثيرة وانما يستغرب لحال الاسناد .

ومعنى الحديث يتفق مع ما ذكره مسلم ، فلعل الترمذي أستغربه من أجل هذه الزيادة .
والحافظ ابن كثير ذكر الآية الكريمة وقال : (٢) انها نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا : اما وحده على قول ، أو مع غيره على الصحيح .

وذكر روايات الطبري وروايات أخرى ، ثم ذكر رواية في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد ألا أيها الناس ، فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »

---

(١) كتاب المناقب ـ باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ
(٢) انظر تفسيره ٤٨٣/٣ ـ ٤٨٦

فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا . فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولـكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، رضى الله عنهم .

وذكر رواية مسلم الاخرى عن زيد أيضا بنحو ما تقدم وفيها : فقلت له : من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا . وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهـر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . (١) ثم قال ابن كثير : هكذا وقع في هذه الرواية ،والأولى أولى والأخذ بها أحرى . وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الاهل المذكورين في الحديث الذي رواه انما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط . بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح جمعـا بينها وبين الرواية التي قبلها ، وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة ان صحت ، فان في بعض أسانيدها نظرا والله أعلم .

ويؤيد هذا الاحتمال الذي ذكره ابن كثير ان السؤال في الحديث الاول فيه من التبعيضية « أليس نسـاؤه من أهل بيته ؟ » وفي رواية مماثلة عن زيد أيضا في المسند : قال حصين : « ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : ان نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته

(١) الرواية الاولى ذكرت بطريقين آخرين ايضا ـ انظر الرواية فى صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل على بن ابى طالب ، رضى الله تعالى عنهم جميعا .

من حرم الصدقة بعده » (١) . فهنا تأكيد ان نساءه من أهل بيتـه .

وقال ابن كثير بعد ذلك :

الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فان سياق الكلام معهن ، ولهذا قال تعـالى بعد هـذا كله : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحـكمة ... » . ولـكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » ، وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسو لالله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال : « هو مسجدي هذا » فهذا من هذا القبيل ، فان الآية انما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الاحاديث الاخر ، ولكن اذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك والله أعلم .

وبمثل هـذا قال ابن تيمية من قبـل (٢) ، وقال القرطبي (٣) : قوله تعالى : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » . هـذه الالفـاظ تعطى أن أهل البيت نساؤه ، وقد أختلف أهل العلم في أهل البيت ، من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس : هم زوجاته خاصة لا رجـل معهن ، وذهبـوا الى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ لقوله تعالى : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن » .

---

(١) المسند ٣٦٦/٤ - ٣٦٧
(٢) أنظر المنتقى ص ١٦٨ - ١٦٩
(٣) راجع تفسيره ١٨٢/١٤ - ١٨٤

وقالت فرقة منهم الكلبى : هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ٠ وفي هذا أحاديث عن النبي عليه السلام واحتجوا بقوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم » « بالميم » ولو كان للنساء خاصة لكان « عنكن ويطهركن » ، الا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل ٠ كما يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك ؟ أي أمرأتك ونساؤك ، فيقول هم بخير قال تعالى : « أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » ٠ والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وانما قال « ويطهركم » لان رسول الله ﷺ وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم ، واذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ٠ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن ، يدل عليه سياق الكلام والله أعلم ٠

ثم قال القرطبي : « فكيف صار في الوسط كلاما منفصلا لغيرهن ، وانما هذا جرى في الأخبار أن النبي ـ عليه السلام ـ لما نزلت عليه هذه الآية دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين ، فعمد النبي ﷺ الى كساء فلفها عليهم ثم ألوى بيده الى السماء فقال ، اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الازواج ، فذهب الكلبى ومن وافقه فصيرها لهم خاصة ، وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل ٠

ومن صير الآية لاهل الكساء خاصة أبو جعفر الطحاوي ، فقد انتهى الى هذا في كتابه مشكل الآثار (١)

---

(١) أنظر كتابه ١/٣٣٢ ـ ٣٣٩

وبنى رأيه على مجرد احتمالات فقال : ان أم سلمة من أهله لأنها من ازواجه ، وأزواجه أهله ، كما قال في حديث الافك : « من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي ، والله ما علمت في أهلي الا خيرا » ليحتمل ان يكون قوله لأم سلمة أنت من أهلي من هذا المعنى أيضا لا أنها من أهل الآية المتلوة في هذا الباب . واستدل ببعض الروايات المذكورة عنها ، وفي بعضها : وما قال انك من أهل البيت ، وفي أخرى : أنت من أزواج النبي . وأنت على خير أو الى خير .

وفي رواية : قلت يا رسول الله : ألست من أهلك ؟ قال : بلى (١) . قالت : فأدخل في الكساء ؟ قالت : فدخلته بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضى الله عنهم .

وأرى أن الرواية الأخيرة تدل على دخولها في الآية لا على خروجها منها ، فالسؤال متصل بدخولها فيمن شملتهم الآية ، والجواب يؤيده . ودخولها في الكساء بعدهم أليق بالأدب النبوي . فما كان ﷺ ليدخل زوجته في كسائه مع ابن عمه .

وذكر الطحاوي الاعتراض بأنها في آيات نساء النبي وقال : جوابنا له : أن الذي تلاه الى آخر ما قبل قوله « إنما يريد الله » الآية خطاب لازواجه ثم أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله « إنما يريد الله ... » فجاء به على خطاب الرجال .. فعقلنا أن قوله خطاب لمن أراده من الرجال

---

(١) وذكر القرطبي عن القشيري قال : قالت أم سلمة : أدخلت رأسي في الكساء وقلت : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : نعم . (انظر تفسيره ١٨٣/١٤) وقال الزمخشري : « أهل البيت » نصب على النداء أو على المدح . وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته » . (انظر الكشاف ٢٦٠/٣) .

بذلك ليعلمهم تشريفه لهم ، ورفعه لمقدارهم ، أن جعل نساءهم ممن قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوة قبل الذي خاطبهم به تعالى ٠

ولكن جواب الطحاوي ـ لو صح ـ لاقتصرت الآية على الرسول ﷺ فقط لأن الآيات في نساء النبي ، فكيف تشمل غيره من الرجال والبنين فضلا عن النساء ؟ وقد مر من قبل الحديث عن التعبير بالمذكر في الآية الكريمة ، وبيان ضعف الروايات التي تمنع شمول الآية الكريمة لنساء النبي ﷺ ٠

والطحاوي على أية حال حاول ألا يخرج على السياق ولكن الغريب أن نجد من يقول :

« الآية لم تكن بحسب النزول جزءا من آيات نساء النبي ، ولا متصلة بها ، وانما وضعت بينها ٠ أما بأمر من النبي ﷺ أو عند التأليف بعد الرحلة » (١) ٠

فكيف أن عجز آية يضم الى صدرها ولا صلة بينهما ؟ ثم كيف يكون الصدر متصلا بما قبله وما بعده ، والعجز يبعد عن هذا كل البعد ؟ وما الحكمة في وضعه هنا اذن ؟ والأشد غرابة ونكرا أن يوجد احتمال وضعه بدون أمر النبي ﷺ !

وقال الطبرسي : « متى قيل ان صدر الآية وما بعدها في الازواج ، فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء ، وكذلك كلام العرب وأشعارهم » (٢) ٠

---

(١) الميزان ٣٣٠/١٦
(٢) مجمع البيان ١٣٩/٢٢ ط مكتبة الحياة

وهذا القول وان كان ينقصه الدليل ، وبيان الحكمة المقتضية لمثل هذا ، وبالذات اذا كان الخروج الى ما ليس له علاقة بالموضوع ، هذا القول لا ينزل الى مستوى القول السابق ٠

ونخرج من هذا بأن آية التطهير في نساء النبي وغيرهن من أهل البيت كما بين الرسول ﷺ ، ولكن اذا كان لأحد أن يتكلم في شمولها لأمهات المؤمنين فليس هناك دليل على الاطلاق يخرج باقي قرابة رسول الله ﷺ ، فأي دليل يمنع شمولها لباقي بنات النبي ؟ ومفارقتهن للحياة قبل نزول الآية لا يعني عدم ارادة تطهيرهن في حياتهن ، وما الذي يمنع دخول باقي ذرية الامام علي ؟ وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس ؟

وعلى القول بأنها منحصرة في الخمسة كيف تتعداهم الى غيرهم من باقي الائمة الاثنى عشر ؟ ولماذا لم تشمل أئمة الزيدية مثلا أو الاسماعيلية أو باقي فرق الشيعة التي جاوزت السبعين ؟

وننتقل بعد هذا الى دلالة الآية الكريمة على العصمة قال الطوسي (١) : « استدل أصحابنا بهذه الآية على أن في جملة أهل البيت معصوما لا يجوز عليه الغلط وأن اجماعهم لا يكون الا صوابا بأن قالوا : ليس يخلو ارادة الله لاذهاب الرجس عن أهل البيت بأن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفا أختاروا عنده الامتناع من القبائح » والاول لا يجوز أن يكون مرادا لان

---

(١) يطلق عليه الجعفرية لقب « شيخ الطائفة » ٠

هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك ، ولا خلاف آن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم ، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزية على غيرهم ؟ على أن لفظة انما تجرى مجرى ليس فيكون تلخيص الكلام (ليس يريد الله الا اذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت) ، فدل ذلك على أن اذهاب الرجس قد حصل فيهم ، وذلك يدل على عصمتهم » (١) ٠

وقد انفرد الجعفرية بهذا القول ، وخالفوا أهل التأويل جميعا ، وما ذكروه فيه نظر لعدة أمور :

١ ـ مخالفتهم لأهل التأويل جميعا يجعل قولهم غير مقبول ما لم يؤيد بأدلة قوية تسانده ٠

٢ ـ في الاحاديث السابقة ما يبين أن الرسول ﷺ جمع أهل الكساء ودعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا ، فاذا كان اذهاب الرجس قد حصل والتطهير قد تم فما الحاجة الى الدعاء ؟

٣ ـ آية التطهير واقعة بين آيات فيها الأمر والنهي مما يؤيد ارادة فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ليؤدي ذلك الى اذهاب الرجس وحدوث التطهير ، ويؤيده أيضا ما روى من قبل أن النبي كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة ، فيقول : الصلاة أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، فهنا

(١) مجمع البيان ١٣٩/٢٢ ط مكتبة الحياة ٠

يبدو الربط بين الأمر بالصلاة والآية الكريمة ٠

٤ ـ ويزيد ذلك تأييدا ما روى بسند صحيح عن علي بن أبي طالب أنه قال : « أتاني رسول الله ﷺ وأنا نائم وفاطمة ، وذلك من السحر ، حتى قام على الباب ، فقال : ألا تصلون ؟ فقلت مجيبا له : يا رسول الله ، انما نفوسنا بيد الله ، فاذا شاء أن يبعثنا ، قال : فرجع رسول الله ﷺ ولم يرجع الى الكلام ، فسمعته حين ولى يقول ، وضرب بيده على فخذه : وكان الانسان أكثر شيء جدلا » (١) ٠وفي رواية أخرى عن الامام أيضا قال : « دخل على رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل ، فأيقظنا للصلاة ، قال : ثم رجع الى بيته فصلى هويا من الليل ، قال : فلم يسمع لنا حسا ، قال : فرجع الينا فأيقظنا ، وقال : قوما فصليا ، قال : فجلست وأنا أعرك عيني وأقول : انا والله ما نصلي الا ما كتب لنا ، انما أنفسنا بيد الله ، فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، قال : فولى رسول الله ﷺ وهو يقول ويضرب بيده على فخذه : ما نصلي الا ما كتب لنا ما نصلى الا ما كتب لنا ! وكان الانسان أكثر شيء جدلا » (٢) ٠

فهنا يتضح حرص الرسول ﷺ على اذهاب الرجس عن أهل بيته وتطهيرهم تطهيرا ، وغضبه لما بدر من زوج الزهراء رضى الله تعالى عنهما ٠

---

(١) حديث رقم ٥٧١ جـ ٢ من المسند ، وانظر في التعليق بيان المرحوم الشيخ احمد شاكر لصحة الاسناد ، والروايات الاخرى الصحيحة لهذا الحديث ٠
(٢) حديث رقم ٧٠٥ جـ ٢ من المسند ، واسناده صحيح ٠
والهوي : الساعة من الليل ٠

٥ ـ قال ابن تيمية :

أما آية (الاحزاب ٣٣) « ويطهركم تطهيرا » . فليس فيها اخبار بذهـاب الرجس وبالطهارة ، بل فيها الأمر لهم بما يوجبها ، وذلك كقوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » (١) « يريد الله ليبين لكم ويهديكم » (٢) ، « يريد الله أن يخفف عنكم » (٣) فالارادة هنا متضمنة للامر والمحبة والرضا ، ليست هي الملتزمة لوقوع المراد ، ولو كان كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته ٠ ثم أيد رأيه بدعائه ﷺ لأصحاب الكساء (٤) ٠

٦ ـ انتهينا الى أن آية التطهير في نساء النبي ، وغيرهن من أهل البيت وهم : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، ولا قائل بعصمة هؤلاء ، وتخصيص الخمسة يحتـاج الى دليل ، والأدلة التي وجدناها تمنع هذا التخصيص ٠

بقي بعد هذا ما ذكره الطوسي من أن حمل الارادة على هذا المعنى لا يجوز لأن هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين ، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك ، ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم ، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص ويخـرج الآية من أن يكون لهم فيها فضـيلة ومزية على غيرهم ؟

---

(١) سورة المائدة ـ الآية السادسة
(٢) سورة النساء ـ الآية ٢٦
(٣) سورة النساء ـ الآية ٢٨
(٤) أنظر المنتقى ص ١٦٨ ، وانظره كذلك ص ٤٢٨

هذا هو الدليل الذي استند اليه الطوسي (١) ، وهو استدلال عقلي ، فهل يرد بمثل هذا الدليل ما ذكرنا من الأدلة ؟!

ولو صح هذا القول لكانت آية التطهير في نساء النبي خاصة ، فقد اختصصن بمضاعفة الأجر ، وهـذا يجعلهن أقرب الى التطهير واذهاب الرجس ، كما اختصصن بنزول الوحي في بيوتهن ، ولكنا نقول : ان ارادة التطهير وان كانت حاصلة مع جميع المكلفين الا أن أهل البيت بها أخص فهم المقتدى بهم ، ولأصحاب الكسـاء النصيب الأوفى ٠

فهذا التأويل لا يمنع الفضيلة والمزية ، ولكنه لا يثبت العصمة ٠

والاستدلال بآية التطهير بعد هـذا يصبح غير مسلم به ، فتخصيصها بالخمسة الاطهار ، غير ثابت ، وتأويلها بما يثبت العصمة لا دليل عليه ، وهم يرون ثبوت الامامة لثبوت العصمة ٠ على أن القول بعصمة الامامنتحدث عنه عند مناقشة الدليل التالي ٠

★ ★ ★

---

(١) وبهذا ايضا استدل العالم المعاصر محمد تقي الحكيم ، وذهب الى أن الارادة تكوينية لا تشريعية (أنظر الاصول العامة للفقه المقارن ص ١٥٠) ٠

الفصـــل الرابع

عصـــمة الأئمة

ذكرت من قبل ما ذهب اليه الشيعة من القول بعصمة الائمة ، فلا يخطئون عمدا ولا سهوا ولا نسيانا طول حياتهم لا فرق في ذلك بين سن الطفـولة وسن النضـج العقلي ، ولا يختص هذا بمرحلة الامامة .

ومما استدلوا به قوله تعالى : « إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » .

قالوا : تدل هـذه الآية على أن الامـام لا يكون الا معصوما عن القبائح ، لان الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الامامة ظـالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما اما لنفسه واما لغيره ، فان قيل انما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح أن يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالما . فاذا نفى أن ينـاله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها . والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت ، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها ، فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد (١) .

ثم قالوا : ان الله سـبحانه وتعـالى عصم اثنين فلم يسجدا لصنم قط وهما : محمد بن عبد الله وعلي بن أبي طالب ، فلأحدهما كانت الرسالة ، وللآخر كانت الامامة ، أما الخلفـاء الثلاثة فلم يعصـموا ، وهم ظالمون ليسـوا أهلا للامامة .

---

(١) انظر التبيان ١/٤٤٩ ، ومجمع البيان ١/٢٠٢ ، ومصباح الهداية ٦٠ ـ ٦٣

ونلاحظ هنا :

١ ـ في تأويل الآية الكريمة (١) « إني جاعلك للناس إماما » يحتمل جعله رسولا يقتدي به ، لأن أهل الاديان ، مع اختلافهم ، يدينون به ، ويقرون نبوته . ويحتمل اماما من الامامة والخلافة ، أو الامامة والاقتداء ، فيقتدي به الصالحون . والعهد اختلف في تأويله : فقيل الرسالة والوحي ، وقيل الامامة ، وهو واضح من التأويل السابق ، ويؤيده عدة روايات . وعن ابن عباس قال : « لا ينال عهدي الظالمين » قال : ليس للظالمين عهد ، وان عاهدته أنقضه ، وروي عن مجاهد وعطاء ومقاتل ابن حيان نحو ذلك . وقال الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه قال : ليس لظالم عهد . وقال عبد الرازق : أخبرنا معمر عن قتادة قال : لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فآمن به وأكل وعاش ، وكذا قال ابراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة . وقال الربيع بن أنس : عهد الله الذي عهد الى عباده دينه ، يقول لا ينال دينه الظالمين ، ألا ترى أنه قال : « وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين»(٢) يقول : ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحق ، وكذا روى عن أبي العالية وعطاء ومقاتل بن

---

(١) انظر تفسير الماتريدي : ص ٢٧٩ ، والطبري تحقيق شاكر ١٨/٣ ـ ٢٤ ، وابن كثير ١٦٧/١ ـ ١٦٨ ، والالوسي ٣٠٦/١ ـ ٣٠٨ ، والبحر المحيط ٣٧٤/١ ـ ٣٧٩ ، والقرطبي ١٠٧/٢ ـ ١٠٩

(٢) ١١٣ : الصافات .

حيان ، وقال جويبر عن الضحاك : لا ينال طاعتي عدو لي يعصيني ؛ ولا أنحلها الا وليا لي يطيعني • وروى عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال : « لا ينال عهدي الظالمين » قال : لا طاعة الا في المعروف • فالآية الكريمة اذا اختلف في تأويلها ، والقطع بأن المراد هو ما ذهب اليه الجعفرية من التأويل ينقصه الدليل ، ورد باقي الأدلة •

٢ - ولكن مع هذا فلا خلاف بأن الظالم لا يصلح لامامة المسلمين ، قال الزمخشري : « وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ، ولا تجب طاعته ، ولا يقبل خبره ، ولا يقدم للصلاة ؟ وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتى سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما ، وحمل المال اليه ، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانيقي (١) وأشباهه ، وقالت له امرأة : أشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل : فقال ليتني مكان ابنك •• وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة ، فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر : من استرعى الذئب ظلم » (٢) •

---

(١) اللص المتغلب والخليفة الذي ذكره الزمخشري هو هشام بن عبد الملك ، وأما الدوانيقي فهو المنصور أخو السفاح ، سمى بذلك قيل لبخله ، وقد ذكر بعض المصنفين أنه لم يكن بخيلا (البحر المحيط ٣٧٨/١) •

(٢) الكشاف ٣٠٩/١ وقال القرطبي (١٠٩/٢) قال ابن خويزمنداد : وكل من كان ظالما لم يكن نبيا ولا خليفة ، ولا حاكما ، ولا مفتيا ولا امام صلاة ، ولا يقبل عنه ما يرويه عن صاحب الشريعة ، ولا تقبل شهادته في الأحكام •

٣ - لا يمكن التسليم بأن غير المعصوم لابد أن يكون ظالما أو أن غير الظالم لابد أن يكون معصوما ، فبين العصمة وعدم الظلم فرق شاسع ، فالمخطىء قبل التكليف ليس ظالما ولا يحاسب بالاتفاق ، ومن ندر ارتكابه للصغائر وأتبعها بالتوبة والاستغفار لا يكون ظالما ، أما الخطأ والنسيان فمما لا يحاسب عليه كما قال ﷺ « وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١) ، وكما يؤخذ من دراسة قوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » (٢) .

٤ - في رفض الآلوسي لما ذهب اليه الشيعة قال : أستدل بها بعض الشيعة على نفي امامة الصديق وصاحبيه رضي الله تعالى عنهم - حيث انهم عاشوا مدة مديدة على الشرك وان الشرك لظلم عظيم ، والظالم بنص الآية لا تناله الامامة ، وأجيب بأن (غاية ما يلزم ان الظالم في حال الظلم لا يناله ، والامامة انما نالتهم - رضى الله تعالى عنهم - في وقت كمال ايمانهم وغاية عدالتهم) ثم قال :
(ومن كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم في لغة وعرف وشرع ، اذ قد تقرر في الاصول أن المشتق فيما قام به المبدأ في الحال

---

(١) رواه ابن ماجة وابن أبي عاصم ، ورجاله ثقات ، وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما ، وقال النووي في الروضة وفي الاربعين انه حسن . ووقع في كتب كثيرين من الفقهاء والاصوليين بلفظ « رفع » بدل « وضع » ، وحول الحديث كلام يطول ذكره ، انظرهفي المقاصد الحسنة ص ٢٢٨ - ٢٣٠ وكشف الخفاء ١/٤٣٣ - ٤٣٤

(٢) روى الامام مسلم وغيره ما يفيد استجابة ربنا عز وجل لهذا الدعاء ، وروى كذلك عند الجعفرية : أنظر مجمع البيان ٢/٤٠٤ ، وأنظر كذلك تفسير ابن كثير ١/٣٤٢ - ٣٤٣ - والقرطبي ٣/٤٣١ - ٢٣٢ والكشاف ١/٤٠٨

حقيقة وفي غيره مجاز ، ولا يكون المجاز أيضا مطردا بل حيث يكون متعارفا والا لجاز صبى لشيخ ونائم لمستيقظ وغني لفقـــير وجائع لشبعان وحي لميت وبالعكس ، أيضا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا أنه كان كافرا قبــل سنين متطـــاولة أن يحنث ، ولا قائل به » (١) .

٥ ـ ليس من المقطوع به أن الامام عليا لم يسجد لصنم قط ، ولم أجد أثرا صحيحا يؤيد هذا ، ولكن يرجحه أن الاسلام أدركه وهو صبي ، وأنه تربى في بيت النبوة ، واقتدى بابن عمه سيد المرسلين ﷺ وتخلق بخلقه ، ولهذا كانأول من أسلم بعد السيدة خديجة رضى الله تعالى عنهما .
والذين لم يسجدوا للاصنام كثيرون كالصحابة الذين عاشوا في بيئة اسـلامية في صــغرهم فنشئوا على الاسـلام ، ثم الذين ولــدوا في هـذه البيئة ، فلا اختصاص لأمير المؤمنين هنا .

٦ ـ العصمة من الخطأ كبيرة وصـغيرة ، عمـدا وسهوا ونسيانا من المولد الى الممات أمر يتنافى مع الطبيعة البشرية ، فلا يقبله العقل الا بدليل قطعى من النقل وهذه الآية الكريمة لا تثبته للأئمة عموما فضلا عن أئمة الجعفرية على وجه الخصوص ، على أن دلالة القرآن الكريم تتنافى مع مثل هذه العصمة حتى بالنسبة لخير البشر جميعا الذين اصطفاهم الله تعالى

---

(١) انظر تفسير الآلوسي ٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨

للنبوة والرسالة وقد أثبت هـذا من قبل في بحثي الذي نلت به درجة الماجستير (١) ٠

٧ ـ الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار الذين رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه ، والذين مدحهم القرآن الكريم في أكثر من موضع ، ويبين أنهم « خير أمة أخرجت للناس » (٢) ٠ كيف يستبيح مسلم لنفسه أن يصفهم بأنهم ظالمون ؟ وكيف يصدر هذا ممن يقول : الظلم اسم ذم ، ولا يجوز أن يطلق الا على مستحق اللعن لقوله : « ألا لعنة الله على الظالمين » (٣) وكيف يبين القرآن الكريم أنهم خير أمة أخرجت للناس ثم تؤول آية من آياته بأنهم ملعونون ؟ ٠
فعلى الجعفرية اذا أن يعيدوا النظر في تأويلهم ، وما بنوه على هذا التأويل ٠

والآية الكريمة على كل حال لا تدل على أن أمام المسلمين بعد الرسول ﷺ يجب أن يكون علي بن أبي طالب ولا على امامة أحد بعينه ٠

★ ★ ★

(١) أنظر : فقه الشيعة الامامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الاربعة حـ ١ ص ١٨ : ٣٧
(٢) « كنتم خير أمة اخرجت للناس » ـ سورة آل عمران ـ الآية ١١٠
(٣) انظر التبيان ١٥٨/١ ، والآية المذكورة هي رقم ١٨ من سورة هود ٠

الفصـــل الخامس

الغـــدير

ذكرت من قبل ما قاله الجعفرية من أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ بأن ينص على علي وينصـبه علما للناس ، وأن الرسول ﷺ أمتثل للأمر ـ بعد تردد ! وبلغ المسلمين عند غدير خم بعد منصرفه من حجـة الوداع . وبحث ما قاله الرسـول ﷺ في الغـدير يتعلق بالسنة ، ولكنهم ذكروا أن ثلاث آيات تتصل بهذه الحادثة ، آيتان من سورة المائدة ، وأول سورة المعارج كما بينت عند ذكر أدلتهم من القرآن الكريم . وآية التبليغ هي قوله تعالى : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) .

ولم يكتف بعضـهم بذكر أنها نزلت في علي ، ولكن ذكر الاقوال المختلفة في أسـباب النزول ، قال الطوسي[٢] :

قيل في سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال : (٢)

أحــدها : قال محمد بن كعب القرظي وغيره : ان أعـرابيا هم بقتل النبي ﷺ فسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه شجرة حتى انتثر دماغه .

الثاني : أن النبي ﷺ كان يهاب قريشا ، فأزال الله عز وجل بالآية تلك الهيبة . وقيل كان للنبي ﷺ حراس بين أصحابه ، فلما نزلت الآية قال : ألحقوا بملاحقكم ، فان الله عصمني من الناس .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٦٧

(٢) التبيان ٣/٥٨٧ ـ ٥٨٨

الثالث : قالت عائشة : ان المراد بذلك ازالة التوهم ان النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي للتقية .

الرابع : قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام : ان الله تعالى لما أوحى الى النبي ﷺ أن يستخلف عليا كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره بأدائه .

ولم يناقش الطوسي ما قيل ، ولم يذكر ما يرجح أحد هذه الاقوال ، ولكن كثيرا من طائفته أستدلوا بروايات علي أنها في استخلاف علي (١) ، وظاهر النص لا يدل على هذا ، والروايات كلها أقصى ما تبلغه لا تصل الى مرتبة السنة ، فليس فيها ما أثر عن النبي ﷺ على أنا لم نجد رواية واحدة صحيحة عن طريق الجمهور تؤيد ما ذهب اليه الجعفرية ، ولننظر الى ما ذهب اليه المفسرون ، قال الطبري في تفسير الآية الكريمة :

« هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ بابلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص تعالى ذكره قصصهم في هذه السورة ، وذكر فيها معايبهم وخبث أديانهم ، واجتراءهم على ربهم ، وتوثبهم على أنبيائهم ، وتبديلهم كتابه ، وتحريفهم اياه ، ورداءة مطاعمهم ومآكلهم ، وسائر المشركين غيرهم ، ما أنزل عليه فيهم من معايبهم ، والازراء عليهم ، والتقصير بهم والتهجين لهم ، وما أمرهم به ونهاهم عنه ، وأن لا يشعر نفسه حذرا منهم أن يصيبوه في نفسه بمكروه ما قام فيهم بأمر الله ، ولا جزعا من كثرة عددهم وقلة عدد من معه ،

أنظر مجمع البيان ط مكتبة الحياة ١٥٢/٦ - ١٥٣ ، والميزان ٤٢/٦ - ٦٤ وتفسير شبر ص ١٤٣ ، والغدير ٢١٤/١ - ٢٢٩ ، ومصباح الهداية ١٩٠ - ١٩٨

وأن لا يتقي أحدا في ذات الله ، فان الله تعالى ذكره كافيه كل أحد من خلقه ، ودافع عنه مكروه كل من يبغى مكروهه وأعلمه تعالى ذكره أنه ان قصر عن ابلاغ شيء مما يبلغ اليه اليهم ، فهو في تركه تبليغ ذلك وان قل ما لم يبلغ منه فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئا . وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل » (١) .

والذي ذهب اليه أهل التأويل هو الذي يتفق مع سياق الآيات الكريمة ، ومع تكملة الآية ذاتها والخروج على السياق وفصل صدر الآية عن عجزها لا يجوز بغير أدلة صحيحة .

والطبري بعد أن ذكر اتفاق أهل التأويل في المراد من الآية الكريمة ، ذكر أنهم أختلفوا في السبب الذي من أجله نزلت ، فقال بعضهم نزلت بسبب أعرابي كان هم بقتل رسول الله ﷺ فكفاه الله اياه ، وقال آخرون : بل نزلت لانه كان يخالف قريشا ، فأومن من ذلك ، وذكر روايات القائلين بهذين القولين (٢) .

أما الحافظ ابن كثير فقد توسع في الحديث عن هذه الآية الكريمة ، حيث قال : « يقول تعالى مخاطبا عبده

(١) تفسير الطبري تحقيق شاكر ١٠/٤٦٧

(٢) صاحب كتاب الغدير ذكر أن الطبري يرى أن الآية الكريمه نزلت في الغدير كما يذهب الجعفرية (أنظر كتابه ٢١٤/١ – ٢١٦ – ٢٢٣ – ٢٢٥) وما قاله الطبري يتفق مع أهل التأويل – كما نص هو على هذا – وان أختلفوا في السبب الذي من أجله نزلت ، ومعنى هذا ان أهل التأويل متفقون على صحة ما ذهب اليه الجعفرية لو صح ما ذكره صاحب الغدير ! قول غريب نعود اليه في الحديث عن الآية التالية .

ورسوله محمدا ﷺ باسم الرسالة ، وآمرا له بابلاغ جميع ما أرسله الله به ـ وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك ، وقام به أتم القيام ، قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن اسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب،وهو يقول : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية هكذا رواه هاهنا مختصرا ، وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولا ، وكذا رواه مسلم في كتاب الايمان ، والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما ، من طرق عن عامر الشعبي ، عن مسروق بن الاجدع ، عنها رضى الله عنها . وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت لو كان محمد ﷺ كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)) (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له ان ناسا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله ﷺ للناس فقال ابن عباس : ألم تعلم أن الله تعالى قال:(يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) والله ماورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء ، وهذا اسناد جيد . وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال : قلت لعلي بن أبي طالب

---

(١) ٣٧ : الاحزاب

رضى الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت : ومافي هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (١) ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر .

وقا لالبخاري : قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم . وقد شهدت له أمته بابلاغ الرسالة وأداء الامانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفا ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « أيها الناس انكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع اصبعه الى السماء وينكسها اليهم ويقول « اللهم هل بلغت » . قال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا فضيل يعنى ابن غزوان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « يأيها الناس أي يوم هذا ؟ » قالوا : يوم حرام ، قال : « أي بلد هذا ؟ » قالوا : بلد حرام ، قال « فأي شهر هذا » قالوا : شهر حرام ، قال : « فان أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا من شهركم هذا » مرارا قال : يقول ابن عباس : والله لوصية الى ربه عز وجل ، ثم قال « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وقد روى البخاري عن علي بن المديني ، عن يحيى بن سعيد ، عن

---

(١) أي الدية

فضيل بن غزوان به نحوه ، وقوله تعالى : (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) يعني وان لم تؤد الى الناس ما ارسلتك به فما بلغت رسالته ، أي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) يعني أن كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالته » (١) أ هـ

ثم استمر ابن كثير في تفسيره ليبين ما يتعلق بتتمة الآية الكريمة . وأشار الى كيد المشركين وأهل الكتاب لرسول الله ﷺ الذي عصمه الله تعالى منهم ، وقال ـ بعد أن ذكر شيئا من كيدهم : « ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها . فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة » (٢) وذكر بعض روايات الطبري وغيره .

وهكذا نجد أن تفسير الآية الكريمة لا يتفق مع ما ذهب اليه الجعفرية .

وبالاضافة الى ما ذكره المفسرون روى الامام أحمد ، وأصحاب السنن الاربعة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ عبدا مأمورا بلغ والله ما أرسله ، وما اختصنا دون الناس بشيء ليس ثلاثا ، أمرنا أن نسبغ الوضوء ، وأن لا نأكل الصدقة . ولا ننزى حمارا على فرس » (٣) .

وهذه رواية صحيحة السند ، ونصها يتعارض مع تأويل الجعفرية .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٧٧ ـ ٧٨

(٢) المرجع السابق ٢/٧٩

(٣) أنظر الرواية وتخريجها ، وبيان صحة سندها في المسند ج ٣ رواية رقم ١٩٧٧ تحقيق المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، وأشار الى روايات أخرى مؤيدة . وفي التعليق تفسير للجزء الاخير بأن الخيل كانت في بني هاشم قليلة فأحب ﷺ أن تكثر فيهم .

على أن بعض المفسرين ناقش الشـيعة فيما ذهبوا اليه ، وبين أنه قول لا يستقيم . قال الآلوسي عند تفسيره للآية الكريمة (أخبار الغدير التي فيها الأمر بالاستخلاف غير صحيحة عند أهل السنه ، ولا مسلمة لديهم أصلا) (١) وأيد هذا القول : ثم قال : (ومما يبعد دعوى الشيعة من أن الآية نزلت في خصوص خلافة علي كـرم الله وجهه ، وأن الموصول فيها خاص قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) فان الناس فيه وان كان عاما الا أن المـراد بهم الكفار ، ويهديك اليه (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) فانه في موضع التعليل بعصمته عليه الصلاة والسلام (٢) : وفيه اقامة الظاهر مقـام المضمر ، أي لان الله تعـالى لا يهديهم الى أمنيتهم فيك . ومتى كان المراد بهم الكفار بعد ارادة الخلافة : بل لو قيل لم تصح ، لم يبعد ، لان التخوف الذي تزعمه الشيعة منه ـ ﷺ ، وحاشاه ـ في تبليغ أمر الخلافة انما هو من الصحابة . رضى الله تعالى عنهم ـ حيث ان فيهم ـ معاذ الله تعالى ـ من يطمع فيها لنفسه ، ومتى رأى حرمانه منها لم يبعد منه قصد الاضرار برسول الله ﷺ ، والتزام القول ـ والعياذ بالله عز وجل ـ بكفر من عرضوا بنسبة الطمع في الخلافة اليه ، مما يلزمه محاذير كلية أهونها تفسيق الامير كرم الله وجهه وهو هو أو نسبة الجبن اليه وهو أسد الله تعالى الغالب ، أو الحكم عليه بالتقية وهو الذي لا يأخذه في الله تعالى لومة لائم ، ولا يخشى الا الله سبحانه (٣) .

---

(١) تفسير الآلوسي ٣٤٩/٢
(٢) أنظر مثل ما ذكره الآلوسي هنا في الكشاف ٦٣١/١ ، والبحر المحيط ٥٣٠/٣
(٣) تفسير الآلوسي ٣٥٢/٢

ولقد وفق الآلوسي في الاستدلال عن طريق ربط الآية بعضها ببعض ، وتأويل الآية كما ذهب اليه جمهور المفسرين لا يحتاج الى دليل ، لانه أخذ بظاهر النص وعمومه ، وبدلالة السياق ، ولكن تخصيصها باستخلاف علي هو الذي يحتاج الى أدلة أصح وأكثر قبولا من أدلة الجمهور المذكورة ، وهذا ما لم نجده . وروايات الغدير تناقش تفصيلا في بحث متصل بالسنة النبوية الشريفة .

والآية الكريمة الاخرى من سورة المائدة هي « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » (١) .

واختلف أهل التأويل في المراد باكمال الدين ، فقال بعضهم : يعني جل ثناؤه بقوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم ، وحدودي وأمري اياكم ونهيي وحلالي وحرامي ، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي ، وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي ، والادلة نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة اليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميع ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم .

وقال آخرون : ان الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به ، أنه أكمل لهم ـ يوم أنزل هذه الآية على نبيه ـ دينهم ، بافرادهم البلد الحرام ، واجلائه عنه المشركين ، حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطهم المشركون ، وهذا هو الذي اختاره الطبري وأيده (١) .

---

(١) جزء من الآية الثالثة

(٢) أنظر تفسير الآية الكريمة في الطبري تحقيق شاكر ٥١٧/٩ ـ ٥٣١ وابن كثير ١٢/٢ ـ ١٤ والكشاف ٥٩٣/١ ، والآلوسي ٢٤٨/٢ ـ ٢٤٩ والقرطبي ٦١/٦ ـ ٦٣، والبحر المحيط ٤٢٦/٣

والجعفرية لا يخرجون في تأويلهم عن القولين ، ولكنهم يزيدون أن الآية الكريمة نزلت بعد أن نصب النبي ﷺ عليا علما للانام يوم غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع ، ويروون هذا عن الامامين الباقر والصادق ، ويرون آن الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى ، ثم لم ينزل بعدها فريضة (١) .

وفسر الطبرسي « وأتممت عليكم نعمتي » بولايه علي بن ابي طالب وذكر رواية عن ابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ قال بعد نزول الايه الكريمة : الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي ، وولاية علي بن ابي طالب من بعدي .

ولكن الطوسي لا يذكر مثل هذه الرواية ، ويفسر « وأتممت عليكم نعمتي » بقوله : « خاطب الله تعالى جميع المؤمنين بانه أتم نعمته عليهم ، باظهارهم على عدوهم المشركين ونفيهم اياهم عن بلادهم ، وقطعه طمعهم من رجوع المؤمنين وعودهم الى ملة الكفر ، وانفراد المؤمنين بالحج والبلد الحرام ، وبه قال ابن عباس وقتادة والشعبي » .

ولم يشر الطوسي الى الولاية ، وما ذكره كأنما نقل عن شيخ المفسرين ، فقد قال الطبري في تفسيره : « يعني جل ثناؤه بذلك : وأتممت نعمتي ، أيها المؤمنون باظهاركم على عدوي وعدوكم من المشركين ، ونفيي اياهم عن بلادكم ، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم الى

---

(١) راجع للجعفرية : التبيان ٣/٤٣٥ ــ ٤٣٦ ، ومجمع البيان ط مكتبة الحياة ٦/٢٥ ــ ٢٦ ، وجوامع الجامع ص ١٠٤ ، وتفسير شبر ص ١٣٣ ، ومصباح الهداية ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥

ما كنتم عليه من الشرك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التـــاويل . وروى عن ابن عبـــاس أنه قال : كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا ، فلما نزلت براءة : فنفى المشركون عن البيت ، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحـرام أحـــد من المشركين ، فكان ذلك من تمام النعمة : (وأتممت عليكم نعمتي) .

وعن قتادة : نزلت على رسول الله ﷺ يوم عرفة يوم جمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ، وأخلص للمسلمين حجهم .

وعن الشعبي قال : نزلت هذه الآية بعرفات ، حيث هدم منار الجاهلية ، واضمحل الشرك ، ولم يحج معهم في ذلك العام مشرك .

وعن عامر قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات ، وقد أطاف به الناس ، وتهدمت منار الجاهلية ومناسكهم واضمحل الشرك ، ولم يطف حول البيت عريان فأنزل الله : (اليوم أكملت لكم دينكم) .

وعن الشعبي بنحوه »

إن روايات قتادة والشعبي التي ذكرها الطبري تعارض ما قيل من أن الآية الكريمة نزلت يوم الغدير . وهناك روايات أخرى كثيرة صحيحة السند تثبت نزولها يوم عرفة يوم جمعـة لا يوم الغدير . وذكـر الطبري بعض هـذه الروايات ، وروايات أخرى معارضـة ، ثم قال : وأولى الاقوال في وقت نزول الآية القول الذي روى عن عمر بن الخطاب : أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة ، لصحة سنده ، ووهي أسانيد غيره .

وقال الحافظ ابن كثير : « قال الامام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، انكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال : وأي آية ؟ قال : قوله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » . فقال عمر : والله اني لاعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم جمعة (١) ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ، ورواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي أيضا من طرق عن قيس بن مسلم به . ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية عن طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال : قالت اليهود لعمر : انكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا . فقال عمر : اني لاعلم حين أنزلت ، وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة . قال سفيان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا : « اليوم أكملت لكم دينكم » الآية . وشك سفيان رحمه الله ان كان في الرواية فهو تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ، وان كان شكا في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما اخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فان هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ، ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم . وقد روى هذا من غير وجه عن عمر » .

---

(١) الرواية صحيحة الاسناد ، ورواها الامام أحمد بسند صحيح آخر ، انظر الروايتين رقم ١٨٨ ، ٢٧٢ في الجزء الاول من المسند .

وبعد هذه الروايات ذكر ابن كثير روايات الطبرى التي صح سندها وهي تبين ـ كما سبق ـ أن الآية نزلت يوم عرفة يوم جمعة • ثم ذكر الروايات المعارضة ، وهي التي أستوهاها الطبري ، وبين ضعفها ، ومنها ما روى عن الربيع بن أنس أنها نزلت في المسير في حجة الوداع ، وقال : وقد روى ابن مردوية عن طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ثم رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ، ولا يصح هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأول ملوك الاسلام معاوية بن أبي سفيان (١) وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب رضى الله عنه ، وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب ، وغير واحد من الائمة والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله •

ومن هنا يظهر ان الروايات الصحيحة تعارض ما ذهب اليه الجعفرية من نزول الآية الكريمة يوم الغدير ولكن أحد كتابهم أيد ما ذهبوا اليه بقوله بأنه « يؤكده النقل الثابت في تفسير الرازي ٣ ص ٥٢٩ عن أصحاب الآثار

---

(١) المروى في الصحاح الستة عن طريق معاوية في الاحكام ثلاثون حديثا ، ذكرها ابن الوزير ـ من علماء الزيدية ـ في كتابه الروض الباسم ، وأثبت صحتها ثم أثبت صحة باقي الاحاديث المروية عن طريقه في غير الاحكام ، وأشار الى أنه لم يرد حديث واحد عن طريق معاوية في ذم الامام علي (أنظر كتابه ١١٤/٢ ـ ١١٩)

أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم يعمر بعد نزولها الا أحدا وثمانين يوما ، أو اثنين وثمانين ، وعينه أبو السعود في تفسيره بهامش تفسير الرازي (ص ٥٢) وذكره المؤرخون منهم : ان وفاته ﷺ في الثاني عشر من ربيع الاول ، وكأن فيه تسامحا بزيادة يوم واحد على الاثنين والثمانين يوما بعد اخراج يومي الغدير والوفاة ، وعلى أي فهو أقرب الى الحقيقة من كون نزولها يوم عرفة كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما (١) . لزيادة الايام حينئذ . على أن ذلك معتضد بنصوص كثيرة لا محيص عن الخضوع لمفادها (٢) .

أما النصوص الكثيرة التي يرى ألا محيص عن الخضوع لمفادها فقد سبق ذكر بعضها وبيان عدم الاخذ بها ،فهى روايات ضعيفة السند متعارضة مع روايات صحيحة بل متواترة كما ذكر الحافظ ابن كثير .

ومن الواضح البين أن رواية الرازي للايام اذا تعارضت مع هذه الروايات وجب طرح رواية الرازي . وليس من البحث العلمي الصحيح ان رواية تأتي في أحد كتب التفاسير تسقط بها روايات متعددة كثيرة صحيحة السند ، جاءت عن طريق الائمة أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم .

وأول النصوص الكثيرة التي يرى مؤلف الغدير ألا محيص عن الخضوع لمفادها نص ذكر أن الطبري رواه باسناده عن زيد بن أرقم في كتاب الولاية ، وأشار اليه هنا

(١) من العجيب الغريب أن الروايات التي ينكرها هنا يستدل بها هى ذاتها في مكان آخر بشيء آخر ! فذكر قول اليهودي « لو نزلت فينا هذه الآية لاتخذنا يوم نزولها عيدا » ثم قال : وصدر من عمر ما يشبه التقرير لكلامه . وانتهى من هذا الى أن يوم نزولها عيد وهو عيد الغدير ! ولم يشر الى يوم عرفة ! (أنظر الغدير ٢٨٣/١)

(٢) المرجع السابق ٢٣٠/١

حيث اثبته بالكامل عند استدلاله على اية التبليغ السابقة في غديره (١) ، وبالرجوع الى النص نجد أمرا عجيبا ! فهو يكاد يجمع ما يتصل بعقيدة الامامية وغلاتهم في الامامة ، فهي لعلي بالنص ، ثم في أولاده الى يوم القيامة الى القائم المهدي وغيرهم أئمة يدعون الى النار ، وهم وأتباعهم في الدرك الاسفل منها ، والله تعالى ورسوله بريئان منهم ••• ألخ •

والمعروف أن شيخ المفسرين الطبري ليس شيعيا فضلا عن غلاتهم ، ولكن صاحب الغدير بعد ذكر الرواية وروايات أخرى قال (٢) بأن الطبري أول من عرفناه ممن ذكر أن آية التبليغ نزلت حول قصة الغدير •

وأخذ يناقش الروايات التي جاءت في تفسير الطبري ليبين أنها لا تتعارض مع الرواية المذكورة في كتابه عن الولاية ، مع أن الطبري متفق مع أهل التأويل كما ذكرنا من قبل عند مناقشة الآية الكريمة ، أفكل أهل التأويل جعفريون ؟ !

وعند الحديث عن آية الاكمال هذه ذكر رواية الطبري وأشارالى كتابه في الولاية ، ولم يشر الى تفسيره ، ويتضح سر هذا وقد عرفنا الرأي الذي أختاره الطبري حيث أستوهى الروايات المخالفة لرواية عمر بن الخطاب • اذن لسنا في حاجة الى بيان ضلال الباحث عندما يسيره هواه ، ولكن أحب أن أقول هنا بأن كتاب الولاية في ضوء ما سبق اما أنه ألف ونسب الى الطبري زورا انتصارا لمذهب ، واما ان الطبري جمع ما وجده من الولاية بغير نظر الى مصادر

---

(١) أنظر المرجع المذكور ١/٢١٤ - ٢١٦

(٢) راجع قوله في ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٥.

الروايات ؛ وفي كلتا الحالتين الكتاب لا وزن له ، ولا يبين راي الطبري (١) .

واذا كانت آية التبليغ السابقة نزلت قبل آية الاكمال هذه ـ كما قال الجعفرية انفسهم ـ فإن الروايات السابقة تدل على أن آية التبليغ نزلت قبـل الغـدير ، مما يؤيد ما ذهب اليه جمهور المفسرين في تأويلها ، ويعارض ما قاله الجعفرية من أنها خاصة بالاستخلاف يوم الغدير ، وهذا دليل آخر يضاف الى أدلة الجمهور .

ومما سبق رأينا أن آية الاكمـال نزلت يوم عـرفة ، ولكن لو فرضنا أنها نزلت يوم الثامن عشر من ذي الحجة يوم الغدير فانها لا تعتبر دليلا على استخلاف علي ، لان هذا مبني على أساس أن آية التبليغ خاصة بالاستخلاف ، وهذا غير ثابت كما بينت من قبل .

ويبقى بعد هذا ما يتعلق بأول سورة المعارج « سأل سائل بعذاب واقع » والسورة الكريمة « مكية » بالاتفاق ،

---

(١) قد بحثت عن الكتاب المذكور فلم أجده ، وبحثت عن أسماء الكتب المنسوبة للطبري فوجدت ما يزيد عن مائة كتاب ، منها كتاب فضائل علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال يا قوت الرومي في كتابه ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ٤٥٢/٦ بأن الطبري تكلم في أوله بصحة الاخبار الواردة في غدير خم ، ثم تلاه بالفضائل ، ولم يتم « فالطبري اذن لم يتم كتابه ، وهو ـ مع عشرات الكتب الاخرى ـ غير موجود ، فلعل احدا أستغل هذا فأخرج كتابا بعنوان الولاية ونسبه للطبري . والرواية التي ذكرها صاحب كتاب الغدير عن زيد بن أرقم نقلا عن كتاب الولاية لا تصح بحال ، وقد ذكرنا من قبل الروايات الصحيحة عن زيد بن أرقم كما رواها الامامان أحمد ومسلم ، فاذا كان الطبري قد صحح الاخبار الواردة في غدير خم كما قال يا قوت فانها لا تزيد عما أخرجه مسلم ، وما صح من مسند أحمد ، أما أن يصح عنده ما لايؤمن به ، بل لا يقول به الا الغلاة فهذا أمر مرفوض قطعا .
ومن المعاصرين لشيخ المفسرين عالم شيعي أسمه محمد بن جرير بن رستم الطبري ويكنى أبا جعفر وله كتاب المسترشد في الامامة (أنظـر الفهرست للطوسي ص ١٥٨ ـ ١٥٩) فلعله صاحب كتاب الولاية واستغل التشابه بين الاسمين والكنيتين في نسبة الكتاب لشيخ المفسرين ، وهو بلا أدنى شك براء مما جاء به .

وما ذكره بعضهم (١) يستلزم ان تكون مدنية بل من اواخر ما نزل بالمدينة بعد حجة الوداع قبيل الوفاة : وشيخ طائفتهم الطوسي لم يقع في هذا الخطأ ، ولذا قال : سورة المعارج مكية في قول ابن عباس والضحاك وغيرهما ، وفسرها بما يتفق مع جمهور المفسرين ، ولم يشر الى أن التكذيب كان بالولاية ، ولا ان جزءا من هذه السورة نزل بالمدينة فضلا عن كونه بعد حجة الوداع (٢) .

وفي مجمع البيان ذكر الطبرسي مثل هذا التفسير (٣) ثم زاد رواية عن جعفر بن محمد عن آبائه ، قال : لما نصب رسول الله ﷺ عليا عليه السلام يوم غدير خم وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، طار ذلك في البلاد ، فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة ففعلناها ، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه : فهذا شيء منك أو أمر من عند الله ؟ فقال : والله الذي لا اله الا هو ان هذا من الله ، فولى النعمان بن الحرث وهو يقول : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله ، وأنزل الله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع »

ولكن هذه الرواية تتعارض مع ما ذكره الطبرسي نفسه حيث قال : « سورة المعارج مكية ، وقال الحسن : الا قوله : « والذين في أموالهم حق معلوم » (٤) .

---

(١) سبق ذكر روايتهم في ص ٨ – ٩ .
(٢) أنظر التبيان ١١٢/١٠ – ١١٣
(٣) أنظر ٣٥٢/١٠
(٤) المرجع السابق ٣٥٠/١٠

وفي موضع اخر (١) ذكر روايات تبين ترتيب نزول سور القرآن الكريم وبحسب هذا الترتيب نجد سورة المعارج مدنية ، وبعدها سبع سور مكية أخرى ، ثم ذكر السور المدنية . وفي احدى هذه الروايات : « وكانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة » .

ومعنى هذا أن سورة المعارج مكية وبالاخص فاتحتها

والطبرسي في تفسيره الآخر « جوامع الجامع » الذي كتبه بعد ان اطلع على تفسير الكشاف للزمخشري وأعجب به (٢) ـ ذكر أن سورة المعارج مكية ، وفسرها بما يتفق مع مكيتها ، ولم يشر للرواية المنسوبة للامام الصادق . وفي تفسير الآية الخامسة وهي « فاصبر صبرا جميلا » قال : فاصبر يتعلق بسأل سائل لانهم أستعجلوا العذاب استهزاءً وتكذيبا بالوحي (٣) .

فالطبرسي هنا لم يأخذ بالرواية المنسوبة للامام الصادق ، وما ذكره الطوسي موافقا به جمهور المفسرين فيه ما يكفي لرد ما ذهب اليه بعض الجعفرية .

---

(١) أنظر نفس المرجع ١٠/٤٠٥

(٢) أنظر مقدمة جوامع الجامع ففيها بيان سبب التاليف ، ومما جاء في هذه المقدمة ص ٣ : « وحثني وبعثني عليه ان خطر ببالي وهجس بضميري ، بل ألقى في روعي ، محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه ، فان لالفاظه لذة الجدة ورونق الحداثة » .

(٣) أنظر المرجع السابق ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩

تعقيب

وبعد المناقشة السابقة نقول :

١ ـ ظهر أن عقيدة الامامة عند المذهب الجعفري لا تستند الى شيء من القرآن الكريم ، واستدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول ، وتأويلات أنفردوا بها ، ولم يصح شيء من هذا ولا ذاك بما يمكن أن يكون دليلا يؤيد مذهبهم ٠

٢ ـ قال أحد مفسري الجعفرية عن أسباب النزول :
« ما ذكروه من أسباب النزول كلها أو جلها نظرية ، بمعنى أنهم يردون غالبا الحوادث التاريخية ، ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها أسباب النزول ، وربما أدى ذلك الى تجزئة آية واحدة ، أو آيات ذات سياق واحد ، ثم نسبة كل جزء الى تنزيل واحد مستقر وان أوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها ٠ وهذا أحد أسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول (١) ٠

وما ذكره هذا المفسر الجعفري يكاد ينطبق على جميع الآيات الكريمة التي أستدلوا بها ٠
ومن قبله قال الامام أحمد بن حنبل :
ثلاثة أمور ليس لها اسناد : التفسير والملاحم

---

(١) الميزان ٤/٧٦ ـ ٧٧

والمغازي (١) .

ويروى « ليس لها أصل » أي اسناد ، لأن الغالب عليها المراسيل .

٣ - يرى الجعفرية أن الاعتقاد بامامة الائمة الاثنى عشر ركن من أركان الايمان ، والقرآن الكريم - كيف لا يبين هذا الركن بنصوص ظاهرة من آياته البينات ! .

٤ - غلاة الجعفرية لم يكتفوا بالتأويلات الفاسدة ، ووضع الروايات كأسباب للنزول ، وانما أقدموا على ما هو أشنع من هذا وأشد جرما ، ذلك أنهم قالوا بتحريف القرآن الكريم ، وحذف اسم علي منه في أكثر من موضع ، وسيأتي لهذا مزيد بيان في بحث عن التفسير عندهم والذي جرفهم الى هذا عقيدتهم في الامامة ، وجعلهم اياها ركنا من أركان الايمان ، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم . والحمد لله تعالى في الأولى والاخرة ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ، وعلى آله وصحبه والله المستعان .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٠

مراجـــع البحث

القرآن الكريم

١ ــ ارشاد الاديب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء :
ياقوت الرومي الحموي ــ مطبعة هندية بمصر ــ الطبعة الثانية

٢ ــ أساس البلاغة :
جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٠

٣ ــ أصل الشيعة وأصولها :
محمد الحسين آل كاشف الغطـاء ــ المطبعة العـربية بالقاهرة
الطبعة العاشرة ٠

٤ ــ الاصول العامة للفقه المقارن :
محمد تقي الحكيم ــ دار الاندلس ببيروت ــ الطبعة الاولى ٠

٥ ــ أعلام الموقعين عن رب العالمين :
ابن قيم الجوزية ــ دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٩ هـ ٠

٦ ــ البحر المحيط :
أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي الشهير بأبي
حيـان ــ مطبعة السعادة ــ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ ٠

٧ ــ تاج العروس :
محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي ٠

٨ ــ التبيان في تفسير القرآن :
أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ــ طبع النجف سنة ١٣٧٦ هـ

٩ ــ تفسير القرآن العظيم :
أبو الفداء اسماعيل بن كثير ــ طبع عيسى البابي الحلبي ٠

١٠ ــ تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة :
أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي ــ طبع المجلس الأعلى
للشئون الاسلامية سنة ١٣٩١ هـ ٠

١١ ــ تفسير شبر :
السيد عبد الله شبر :

١٢ ــ تهذيب التهذيب :
أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العســقلاني ــ طبعة أولى
بالهند سنة ١٣٢٦ هـ ٠

١٣ ــ توجيه النظر الى أصول الاثر :
طاهر بن صالح بن احمد الجزائري الدمشقي ، المطبعة الجمالية
بمصر ــ الطبعة الاولى ٠

١٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) :
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ حققه وعلق حواشيه : محمود محمد شاكر ـ دار المعارف (حـ ٢٢ ، ٢٩ : طبعة الحلبي الطبعة الثانية) .

١٥ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) :
أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ـ دار الكاتب العربي ـ الطبعة الثالثة .

١٦ ـ جوامع الجامع :
أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ مطبعة مصباحي بتبريز ايران سنة ١٣٧٩ هـ .

١٧ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :
السيد محمود الآلوسي البغدادي ـ المطبعة الاميرية ببولاق الطبعة الاولى .

١٨ ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم :
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الوزير اليماني ـ ادارة الطباعة المنيرية بمصر .

١٩ ـ زبدة البيان في أحكام القرآن :
أحمد بن محمد الشهير بالمقدس الاردبيلي ـ حققه وعلق عليه : محمد الباقر البهبودي ـ المكتبة المرتضوية ـ طهران ـ طبع المطبعة الحيدرية .

٢٠ ـ صحيح الترمذي بشرح الامام أبي بكر : ابن العربي ـ مطبعة الصاوي سنة ١٣٥٣ هـ .

٢١ ـ صحيح مسلم :
أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .

٢٢ ـ الغدير في الكتاب والسنة والادب :
عبد الحسين أحمد الاميني ـ دار الكتاب العربي ببيروت ـ الطبعة الثالثة .

٢٣ ـ فقه الشيعة الامامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الاربعة جـ :
د. علي أحمد السالوس ـ مكتبة ابن تيمية بالكويت ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

٢٤ ـ الفهرست :
أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٥٦ هـ .

٢٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :
أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ـ طبع مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٨٥ هـ ٠

٢٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما أشتهر من الاحـاديث على ألسنة الناس :
اسماعيل بن محمد العجلوني ـ دار احيـاء التراث العـربي ببيروت ـ الطبعة الثانية ٠

٢٧ ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد :
الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى ـ مكتبة المصطفوى في قم ٠

٢٨ ـ لسـان العـرب :
جمال دين المعروف بابن منظور المصري ٠

٢٩ ـ مجـ البيان في تفسير القرآن :
أبو ـي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ شركة المعارف الاسلامية سـ ٠ ١٣٨٣ هـ ٠ (الاجزاء الناقصة التي أشـير الى طبعتها : طبع دار مكتبة الحياة سنة ١٣٨٠ هـ) ٠

٣٠ ـ المسـند :
الامام أحمد بن حنبل ـ شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ٠

٣١ ـ مشكل الآثار :
أبو جعفر الطحاوي ـ الطبعة الاولى بالهند سنة ١٣٣٣ هـ ٠

٣٢ ـ مصباح الهداية في اثبات الولاية :
علي الموسوى البهبهاني ـ ناشر : أصفهان كتابفروشي دين ودانش جاب دون ـ مطبعة رباني ٠

٣٣ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم :
محمد فؤاد عبد الباقي ٠

٣٤ ـ مفتاح كنوز السنة :
ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ٠

٣٥ ـ المقاصد الحسنة :
شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ـ دار الادب العربي للطباعة سنة ١٣٧٥ هـ ٠

٣٦ ـ مقدمة في أصول التفسير :
ابن تيمية : أبو العبـاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليـم المطبعة السلفية سنة ١٣٧٠ هـ ٠

٣٧ ـ المنتقى من منهاج الاعتـــدال : وهو مختصر منهـاج السنة لابن تيمية :
أختصره : أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ـ حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية سنة ١٣٧٤ هـ
٣٨ ـ منهاج الشريعة :
السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني ـ النجف سنة ١٣٤٦ هـ .
٣٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال :
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمـــان بن قايماز الـــذهبي الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ .
٤٠ ـ الميزان في تفسير القرآن :
السيد محمد حسين الطباطبائي ـ دار الكتب الاسلامية بطهران الطبعة الثانية .
٤١ ـ نيل الاوطـــار :
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ مطبعـة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية .
٤٢ ـ هدى الساري :
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ المطبعة السلفية بالقاهرة .

الفهـــرس

مطابع الرأي العام التجارية
الكويت